دلالة المكان بين الواقع والرمز في الشعر السعودي
(دراسة تطبيقية في شعر محمد هاشم رشيد)

د. عبد الرحمن بن أحمد السبت
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بكلية التربية بالمجمعة
عميد كلية التربية بالمجمعة - جامعة المجمعة

مقدمة :

يحاول الباحث الوقوف على ظاهرة المكان في الشعر السعودي من خلال دراسة تطبيقية في شعر محمد هاشم رشيد، وسيكون الحديث عن مفهوم المكان، وأهميته، ومعرفة أنواعه، ودلالاته التي تشير إليها، ملتزماً بالمنهج الوصفي التحليلي لا سيما في دراسة النصوص، حيث يساعد ذلك على التعمق في النص، وفهمه، وتحليله، وتأويل دلالة المكان فيه، مع الأخذ بعين الاعتبار المنهج النفسي لارتباطه الوثيق بالمكان وما فيه من إيحاءات ودلالات.

وقد جاء تقسيم الدراسة تلبية لخطة البحث وأهدافه، إذْ تضمنت مقدمة، وأربعة محاور، فالمحور الأول: مفهوم المكان، والثاني: أهميته، والثالث: أنواعه، والرابع: دلالاته وأبعاده في شعر محمد هاشم رشيد، ثم خاتمة متضمنة أبرز النتائج والتوصيات.

ويعدُّ محمد هاشم رشيد أحد شعراء المملكة العربية السعودية المشهورين، إذْ ولد في المدينة المنورة في الخمسينيات، وتلقى تعليمه بمدارسها، وبالمسجد النبوي الشريف، وحصل على دبلوم كلية الصحافة المصرية بالمراسلة عام 1977م، وقد عمل في عدة وظائف حكومية أهمها: مدير إدارة المطبوعات بوزارة الإعلام، ومدير مكتب جريدة البلاد بالمدينة المنورة لأكثر من عشر سنوات، وحصل على الوسام الثقافي التونسي، كما حصل على بعض الميداليات الذهبية والفضية، والدروع والشهادات التقديرية، وهو عضو مؤسس في أسرة الوادي المبارك، كما رأس النادي الأدبي بالمدينة المنورة، وقد كان رساماً وشاعراً، ولكن الشعر عنده غلب على فنِّ الرسم(

[1]، وصدرت عنه الدراسات الآتية:

- محمد هاشم رشيد شاعر المدينة المنورة ..حياته وشعره، وسام محمد عبدالباقي، ويقع الكتاب في (176) صفحة من القطع المتوسط، تحدَّث فيه المؤلف عن بيئة الشاعر، وحياته، وقضايا شعره الدعوية والوطنية والعربية والاجتماعية والوجدانية، ودرس شعره فنياً من ناحية اللغة، والأسلوب، والخيال، والموسيقى، والوزن، والقافية.
- التجربة الإبداعية عند محمد هاشم رشيد، د. محمد الصادق عفيفي، ويقع الكتاب في (224) صفحة من القطع المتوسط، تحدَّث فيه المؤلف عن مفهوم الإبداعية، والتجربة الوجدانية، والجمالية، والروحية، والاجتماعية، والوطنية، والقومية، والإنسانية عند الشاعر.
- محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته، للدكتور رزق محمد سيد أحمد داود، ويقع في 175 صفحة من القطع المتوسط، وقد تحدَّث فيه المؤلف عن حياة الشاعر وعصره، واتجاهاته الشعرية، وخصائصه الفنية المتمثلة في البناء الفني للقصيدة، والألفاظ والأساليب، والصورة الشعرية.

وحيث إنه لا توجد أية دراسة تختص بالمكان في الشعر السعودي بصفة عامة، وفي شعر محمد هاشم رشيد بصفة خاصة – حسب علمي –، ولأهمية دراسة المكان في الأدب والنقد فقد آثرت أن أقدِّم هذه الدراسة لتضيء جانباً من الجوانب المشرقة في شعر محمد هاشم رشيد، وخاصة أنه شاعر اعتنى بهذه الظاهرة، وأدرك أهميتها، فوردت في أشعاره بأنواع مختلفة، ودلالات كثيرة.

مفهوم المكان:

المكان في **اللغة** هو: الموضع الحاوي للشيء، والمستقر له، وجمعه (أمكنة)، وجمع الجمع: أماكن[2].

واصطلاحا: المساحة ذات الأبعاد الهندسية التي تحكمها المقاييس، حيث إنه ذو امتداد ثلاثي الأبعاد (الطول والعرض والعمق) [3]، فهو الحاضن للوجود الإنساني من خلال الحياة والعيش فيه[4].

كما أنَّ للمكان مفهوماً عند **الفلاسفة**، حيث يرى أفلاطون أنه "الحاوي للموجودات المتكاثرة، ومحل التغير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر غير الحقيقي"[5].

ويرى بعضهم أنَّ المكان "سلسلة من الأنماط الشيئية المتوزعة التي تحتل حيزاً، ولها أبعادها وخصائصها المادية، فَفَهْم المكان قائم أولاً على الخبرة والتجربة، أنْ نفهم المكان يعني أنْ نجرِّبه، وبذلك يصبح المكان إطاراً للأشياء، ينطوي عليها ويبرزها، ويصبح التعبير مكانياً هو تعبير عن خصائص الموضوعات المادية المحيطة بنا التي سرعان ما تتكون صلاتنا بها، فمعرفتنا بالواقع مكانية، إذْ يبدأ الإنسان ببناء مكانه الخاص ابتداء من مكان الطفولة المقترن باللعب صعوداً إلى الأشياء المرتبطة بالإنسان البالغ وبالمجتمع كله"[6].

ولكن **للفن والأدب** نظرتهما الخاصة في المكان، حيث يرى غاستون باشلار أنَّ المكان هو الذي يعيش فيه الناس "ليس بشكل موضوعي فقط؛ بل بكلِّ ما في الخيال من تحيّز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدودٍ تتسم بالحماية"[7]، ومكانية الأدب الكبير تدور حول المكان الذي يعبّر عن نفسه وذاته[8]، فالمكان هو العالم أو القضية، وليس الأرض والسقف والجدران بصورتها الساكنة الثابتة، كما أنَّ المقصود المكان بصورته الدرامية، بتأثره بما حوله، وإسهامه في مسار الأحداث، بحيث يصعب إغفاله[9]، فهو في ذلك لا يخضع لمساحة أرض عِيش فيها، وإنما للخيال والحالة النفسية التي يعيشها الأديب أثرٌ في تحديد المكان والنظرة له بإيجاب أو سلب، وهذا ما يجعل المكان من أكثر الأمور تعقيداً في بناء الشعر الحديث خاصة[10]، إذْ لا يسعى الأديب إلى تصوير المكان الخارجي على أنه واقعي هندسي له حدوده وأبعاده؛ "بل يجسّد مكاناً فنياً يظهر في لوحة مصنوعة من الكلمات، تثير خيال المتلقي وتحمله لتصور المشهد"[11].

فالمكان هوية تاريخية ووطنية، يحمل في طياته طموحات الأديب، وتطلعاته المرتبطة في كيانه ونظرته إلى الواقع[12]، وهو يستطيع بذلك أنْ يحفظ التاريخ ويظهره؛ لأنه انعكاس

للزمن، بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والحربية التي تفرض مكاناً لم يكن موجوداً على أرض الواقع، وبذلك ندرك أنَّ من الأمكنة ما يرتبط بالمكان الفردي الخاص، ومنها ما هو مرتبط بالمكان الاجتماعي الذي يتردَّد عليه الناس، وثالث من زاوية المكان الأكثر شمولاً مثل المكان الوطني وغيره[13]، و"علاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعدِّدة تستحضر الواقعي والخيالي والوهمي، ويكفي أنَّ الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي، ويسبح في المكان في عالمه الشعري، فيستحضر المكان من المعرفة الثقافية، ويقيم لنفسه وجوداً فيه أو يعدِّل من صورة المكان الحقيقي، كما يخترع المكان في الفن ويحتله بالوجود"[14].

وقد شاع في بعض الدراسات الحديثة مصطلحات أخرى غير المكان، مثل : الحيِّز، والفضاء، والموضع، ويعود ذلك إلى الترجمة من اللغات الأخرى، إضافة إلى تداخل هذه المصطلحات مع بعض، ووجود اقترابٍ فيما بينها، وتشابهها في المعنى.

أهمية المكان في الشعر:

للمكان أهمية كبرى في العمل الأدبي، فهو عميق الأثر في الحياة البشرية، إذْ ما من حركةٍ إلا وهي مقترنة به، وما من فعلٍ إلا وهو مستوحٍ لبعض دوافعه منه، وهو "يثير إحساساً ما بالمواطنة، وإحساساً آخر بالزمن وبالمحلية، حتى لنحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه"[15].

وليس أدل على أهمية المكان في العمل الفني من أنْ نجعله العمود الفقري الذي يكفل النجاح والإجادة لذلك العمل، "فالعمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته"[16]، وبناء على ذلك فإنَّ باشلار قد اشترط لنجاح العمل الأدبي إخضاعه للمكانية، وخلوه منها يفقد خصوصيته التي ينتمي إليها، وأصالته التي تعدُّ من أساسيات العمل الأدبي، ومسوغات نجاحه[17]، وهذا ما جعل بعض الدراسات تعدُّه من عناصر البناء الفني للقصيدة، ويتجدَّد عند الشاعر في قصيدته، من خلال ما يدركه من الفعل المغير والمحتوي على تاريخٍ ما بعيداً عن الحدود المرسومة للمكان، المحددة بمساحة ذات حيزٍ محدَّد[18].

وللمكان فضل على الإنسان باحتوائه له، وشرف اشتماله عليه، فبينهما انتماء، إذْ لا موجود على ظهر الأرض إلا وله إطار مكاني يشمله، ويمنحه هويته، ويؤمِّن استقرار حياته فيه[19]، وتظهر الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح في البيت، والجامعة، والمدرسة، والنادي، والحي، والشارع، سواء أكان في القرية، أو في المدينة، أو في الصحراء؛ بل في البر والبحر والجو، وفي أحياز مكانية لا حصر لها[20]، ويرى الجاحظ أنَّ للمكان "البيئة" أثراً في قلة الشعر وكثرته[21]، والمكان يؤثِّر في تشكيل الإنسان وبنائه، ومنهم فئة الشعراء الذين يؤثِّر فيهم المكان في أدق تفاصيل حياتهم[22].

ويتسم شعر المكان بأنه "أدبُ رؤيةٍ بصريةٍ ورؤيا فكرية، أدب رؤية لأنه مستمدٌ من الواقع والمعلوم، وأغلب الأمكنة التي يتحدَّث عنها الشعراء تكون مشاهدة برؤية العين، أدب رؤيا لأنَّ الشاعر يدمج بين دواخله وأحاسيسه والمكان، ويحاول أنْ يحمله رسالةً ما ويجعله منفذاً له وللتاريخ وللجيل الجديد حتى يحافظ على الكيان الجماعي والذاتي للأمة وكيانه هو، لأنه كلما بقي المكان بقي الشاعر، فالشاعر في علاقة تلازمية مع المكان"[23]، ولما كان للمكان هذه المكانة، وتلك الفاعلية في العلاقة مع الإنسان كان اهتمام الباحثين به في شتى المجالات الاجتماعية، والنفسية، والجغرافية، والأدبية، وهي ما تعنينا في هذه الدراسة، حيث إنَّ الشعراء السعوديين اعتنوا بالمكان عناية خاصة، يتجلى ذلك من خلال أنموذج الدراسة عند الشاعر محمد هاشم رشيد الذي تردَّد المكانُ كثيراً في أبيات قصائده، وكان له حضورٌ فاعلٌ في شتى المجالات الدينية والطبيعية والنفسية والاجتماعية، يقول عبدالله فتح الدين في مقدمة ديوان الشاعر: "في ظلال السماء": "أخي الشاعر الملهم الأستاذ محمد هاشم رشيد، تحية من عند الله مباركة طيبة، وبعد:

عدت لتوي من الرحلة المثيرة الرائعة التي صحبتك فيها عبر ديوانك الجديد: (في ظلال السماء) وأنا أنتقل معك من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ومن جبل النور إلى جبل أحد، ومن ربى نجدٍ إلى جبال السراة، ومن الساحة الرملية العطرة بين أسراب الحمام في المسجد النبوي الشريف إلى ساحات البطولة والتضحية والجهاد، ومن مهابط الوحي ومشارق النور إلى كلِّ بقعة من بقاع الأرض تختلج بمشاعر الإيمان وتتطلع إلى السماء بحرارة وصدقٍ

وإخلاص، رغم ما تواجهه من مغريات الحياة، وأشهد أنني كنت خلال هذه الرحلة المذهلة أعيش الواقع الذي ترسمه ريشتك المبدعة بكلِّ نبضه وعنفوانه وحيويته، وأحسُّ بأني أحلِّق معك في أرجاء الكون الواسع الكبير وهو يتألَّق بالحبِّ، ويتضوع بالسكينة، ويتهلَّل بالنور"[24].

ويقول عبدالعزيز الربيع في أثناء حديثه عن محمد هاشم رشيد: "ديوانه: (في ظلال السماء) نفحات روحية لا مثيل لها، يتنقل فيها القارئ بين مكة، والمدينة، وبدر، والرياض، وبين جبل النور، وجبل أحد، وجبال السراة، وحمام الحرم، ووميض البرق في نجد، ووادي العقيق.. ويحمله على أجنحة الخيال الرفاف، والتعبير البليغ، إلى عوالم لا حدود لها، من الإبداع والروعة والجمال.. ويعتبر في أسلوبه وفنه البلاغي، واتجاهه معلماً من معالمنا الفنية والفكرية الحديثة"[25]، ويقول: "في شعره نكهة هذه البلاد: ببقاعها المقدسة، وسهولها الخضر، وصحاريها الشاسعة، وجبالها الشامخة، وسمائها الصافية، ويحس القارئ لشعره – ولو لم يضع اسمه عليه – أنه يقرأ لشاعر سعودي يعيش في المدينة، أو مكة، أو الرياض، وهذا مبعث العجب بالفعل، وإن كان في الوقت نفسه دليل الأصالة"[26].

أنواع الأمكنة:

تتنوَّع الأمكنة في الدراسات الأدبية، حيث تأتي على عدَّة أنماط، وقد ارتأيت في دراستي أن أقسِّم الأمكنة في شعر محمد هاشم رشيد وفق ثنائية (المغلق – المفتوح)، ومن وجهة نظري أنَّ هذه التقسيمة تتناسب مع الأمكنة، من خلال ما نجده في جميع أشكالها، وهي بالتالي ستحقِّق لنا تقسيماً يدلُّ على ما في المكان من دلالات يريدها الشاعر في أمكنته الشعرية.

أولا: الأمكنة المفتوحة:

وأعني بها الأمكنة المفتوحة على الخارج، إذْ يتجلَّى من خلالها الانتقال والحركة والسعة[27]، وتسمى بالمكان المتسع المضيء، وهي منفتحة عبر التأملات والأفكار[28]، وتأتي على عدَّة أنماطٍ على النحو الآتي:

أ. أماكن الطبيعة:

تمتاز الطبيعة بأنها مكانٌ واسعٌ مترامي الأطراف، من خلال ما تملكه من سماتٍ عجيبة، وما يوجد فيها من مظاهر الحياة النباتية والحيوانية[29]، وهي تحوي موجودات لا حدود لها، وتدعو إلى التأمل فيها، حيث ينطلق الإنسان باتساعها، وتفسح لخياله رسم ملامح إضافية عما خفي عن أعيننا من مساحات محتجبة، فتظهر لوحة جمالية من خلال عناصر الطبيعة المتنوعة مما يغري البصر برؤيته، وتدعوه للتأمل المقرون بالبهجة والسرور، وحب الاستطلاع الجمالي لروعة مظاهر الطبيعة[30].

وتتنوَّع الأماكن المفتوحة في الطبيعة ما بين جبال، وسهول، وأودية، وشجر، وروابي، وتلال، وغيرها، مما يعطي الرائي فضاءً واسعاً لبصره، إذْ يمتدُّ ليتصور المكان ذا أبعاد طويلة، بالإضافة إلى الانشراح النفسي من خلال الجمال الذي تُكْسَى به الطبيعة، يقول محمد هاشم رشيد:

وَيَـــأْتِيْ الغَـــدُ الرَّائِـــعُ المُنْتَظَـــرْ فَأَمْضِيْ لِأَلْقَـــاكَ تَحْـــتَ الشَّـــجَرْ[31]

فالشجر فضاء ممتد، اختاره الشاعر للقاء، ولم يحدده بشجرة واحدة، مما جعل الذهن يتحرَّك نحو المكان ليتخيله مكاناً واسعاً ممتداً، تحفُّه الأشجار الكثيفة، والظلال الهادئ المريح، مما يشرح النفس، ويجلب الأنس، والفرح والسعادة بانبساط المكان وسعته معنوياً وحسياً.

ويمثِّل الوادي مكاناً مفتوحاً، يتحرَّك من خلاله فتيان المدينة المنورة دون أنْ تحدهم مساحة ضيقة:

إِنِّي أَرَى فِيْ السَّـــاحِ فِتْيَـــانَ الحِمَـــى يَتَســـابَقُونَ ، عَلَـــى امْتِـــدَادِ الـــوَادِي

وَيُهَلِّلُـــونَ، وَيَمْرَحُـــونَ، فَيَنْتَشِـــي (سَلْعٌ) وَيَخْفِـــقُ بِالقَنَـــا المَيَّـــادِ[32]

فالوادي من الأمكنة المفتوحة، بما حباه الله من طبيعة جمعت بين الخضرة والمياه، مما جعل الشعراء يترنمون به كثيراً في قصائدهم؛ نظير ما يجدون فيه من انفتاح حسي في أبصارهم، وانفتاح معنوي نتيجة انشراح النفس والبهجة من الجمال والحسن.

وتمثِّل السهول والروابي مكاناً مفتوحاً واسعاً، فهي تتصف بالخضرة، وتنوع الأزهار فيها على مدِّ البصر، وتحمل عطراً منعشاً يأنس الإنسان بروائحه الزكية العبقة، وقد أعجب الشاعر بالجمال الطبيعي لمدينة الباحة:

أَنْـــتِ أُنْمُـــوذَجُ الجَمَـــالِ لِـــأَحْلَى مَـــا عَرَفْنَـــاهُ فِـــيْ قُـــدُودِ الحِسَـــانِ

فَالسُّهُولُ الفِسَـــاحُ تَحْلُـــو المَرَاعِـــيْ بَـــيْنَ أَحْضَـــانِهَا وَتَزْهُـــو المَغَـــانِي

وَالرَّوَابِيْ المِعْطَاء دُنْيَـــا مِـــنَ الفِتْنَـــةِ وَالسِّـــــحْرِ وَالشَّـــــذَى النَّشْـــــوَانِ

وَالذُّرَى الشَّمّ رِحْلَةٌ فِـــيْ الأَسَـــاطِيرِ وَرَاءَ المَـــدَى وَخَلْـــفَ الزَّمَـــانِ[33]

فالسهول الفسيحة، والروابي الواهبة للعطاء، والجبال الشم العالية أمكنة مفتوحة، ومن جمالها وسعة مكانها أنها مقصد للكثيرين ممن يذهب إليها، ويأنس بالجلوس فيها، ولا شكَّ أنَّ "سرَّ نجاح الشعراء في التعامل مع جماليات هذه الظاهرة هو المعرفة المكانية التي تشغل طاقات الحواس، لإدراك السمات الجمالية للطبيعة، وتوظيفها في النص الأدبي"[34] ، كما أنَّ الجبل مكان يدل على "المنعة والاعتصام، فقد رأى العربي في علو الجبل وارتفاعه ما يكفل له البعد عن بعض الأخطار التي تحيط به في الأماكن السهلة أو المنبسطة"[35]، وتمثل الجبال أماكن مفتوحة واسعة، عبَّر من خلالها الشعراء عن رحابتها، وتمظهرها بشكل متسع الأفق، تمدُّ الإنسان بطاقة من الأنس والراحة بآفاقها الشاسعة.

ب. البحر:

يمثِّل البحر جزءاً كبيراً من الثقافة التراثية الأصيلة التي ارتبطت بالإنسان ارتباطاً وثيقاً، وقد أقام معه علاقة تسودها حياة البساطة والحميمية والألفة[36]، فهو مصدر رزق له منذ القدم، وقد تعامل معه بكلِّ ما فيه من خيرات، وهو مكانٌ غامضٌ وممتعٌ في آنٍ واحدٍ، وقد

بحث الإنسان كثيراً في كشف مجهوله، وتحمَّل ما فيه من غياهب ومتاعب، وفيه من الحنين والانتظار الشيء الكثير، وهو مكان عنيد، وغير صادق في عواطفه، إلا أنه كريمٌ يبسط مائدته لضيوفه، وقد صوره الشعراء، ووقفوا مع شواطئه يتجاذبون أطراف الحديث معه؛ بل شبهوا ممدوحيهم بكرمه، كما أصبح البحر في العصر الحديث مكاناً يلوذ به الإنسان هروباً من الأزمات العاطفية، ويبقى البحر هو المغذِّي النفسي والاجتماعي والمادي للإنسان في منطقة الخليج العربية، إذْ يشكِّل جزءاً بيئياً مهماً فيها[37].

وقد جعل محمد هاشم رشيد البحر مكاناً مفتوحاً، إذْ عبَّر من خلاله عن السعة والانفتاح والكثرة، فليس له حدٌّ أو مد:

سِيْقَ السَّحَابُ لَهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَجِيءَ بِالبَحْرِ ذِيْ الأَمْوَاجِ وَالزَّبَدِ

....

تَدَفَّقَ البَحْرُ أَمْوَاجاً مُهَاجِرَةً فِيْ مَوكِبٍ حَافِلٍ بِالخَيرِ، مُحْتَشِدِ[38]

فالبحر له سعته، وانبساطه، وامتداده، سواءً أكان مدَّاً معنوياً أم حسياً، كما يعدُّ البحر جسراً للخلاص من هموم الحياة عند الشعراء، فانفتاح البحر، وسعته المطلقة، ونقاء الهواء فيه أمور تساعد النفس على الاسترخاء، والبعد عن العناء[39].

ت. المدينة/ القرية:

إنَّ مفهوم **المدينة** يشير إلى "مكان يجتمع فيه عدد من السكان ويعيشون حياتهم اليومية بكلِّ ما فيها من علاقات تربطهم ببعضهم البعض، سواء على الصعيد الخاص أو العام، وقد تكون هذه المدينة محدودة في مساحتها أو في أهميتها أو في عدد سكانها"[40]، وهي تمثِّل "تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة، تعيش على قطعة أرض محدودة نسبياً، وتنتشر فيها تأثيرات الحياة الحضرية المدنية، ويعمل أهلها في الصناعة أو التجارة أو كليهما معاً، كما تمتاز بالتخصص وتعدد الوظائف السياسية والاجتماعية"[41].

وتأتي المدن السعودية لتمثِّل مكاناً وطنياً مفتوحاً يتحرَّك من خلاله الشعب على مساحة شاسعة لا يحدُّها البصر، ولا تقيدها مساحة صغيرة محددة، وأكثر المدن التي ذكرها محمد هاشم رشيد في شعره هي "طيبة"، ومن ذلك قوله:

هِيَ "طَيْبَةٌ" خَرَجَتْ إِلَيكَ، وَكُلُّهَا نَبَضَاتُ أَلْحَانٍ، وَبَوحُ قَصَائِدِ
مَسَحَتْ مَدَامِعَهَا، بِحُرْقَةِ وَامِقٍ وَيَقِينِ مُحْتَسِبٍ، وَعَزْمِ مُجَاهِدِ[42]

فهذه المدينة الشاسعة مكان مفتوح يتحرَّك من خلاله أهاليها شوقاً إلى لقاء مليكها، كما أنَّ في طيبة الطاهرة انشراح النفس، ورحابة الصدر.

ومن المدن السعودية التي أخذت مكاناً في شعر محمد هاشم رشيد بالإضافة إلى طيبة، فهناك مكة، والأحساء، والرياض، وعسير، وتبوك:

غَرَّدَتْ (طَيْبَةُ) الهُدَى وَتَغَنَّتْ (مَكَّةُ) الخَيرِ ، وَانْتَشَى (الأَحْسَاءُ)
وَازْدَهَتْ فِيْ (الرِّيَاضِ) فَرْحَةُ شَعْبٍ مُشْرَئِبٌّ ، تَزْهُو بِهِ العَلْيَاءُ
وَأَغَانِي الأَفْرَاحِ فَوقَ (عَسِيرٍ) فِيْ (تَبوكٍ) رَنَتْ لَهَا الأَصْدَاءُ[43]

هذه أمكنة الوطن تجدها في الشمال، والغرب، والشرق، والجنوب، ووسط البلاد، تتيه خيالاً وفرحاً، وولاء وحمداً لشفاء مليكها، وهي أمكنة مفتوحة، يتحرَّك من خلالها ذهن المتلقي من خلال تصوره للفضاء الواسع في جميع هذه الأماكن.

والقرية مكان ينفتح بعضه على بعض مع ما فيها من خصوصية الهدوء والاستقرار والطمأنينة التي تميزها عن المدينة، يقول محمد هاشم رشيد:

فَحَولَكَ تَغْفُو القُرَى الوَادِعَهْ وَتَحْلُمُ بِالأَمَلِ .. المُرْتَقَبْ
وَتَرْنُو لَكَ المُدُنُ الرَّائِعَهْ لِتَقْضِي إِلَيكَ بِسِرِّ الحِقَبْ[44]

فالقرية/ المدينة من المتضادات لفظا، المتفقات في الانفتاح على فضاء واسع ليس له حدٌّ يعيق الحركة، أو يخفي البصر عن النظر، أو الإنسان عن الحركة، وحتى وإن اتسمت القرية بمساحةٍ أقل على أرض الواقع إلا أنها تملك خيار السعة والانفتاح المعنوي بين أهالي القرية الواحدة وبيوتها، فلا حواجز بينهم؛ بل تجدهم أسرة واحدة، "ولعل في هذه الاستعارة

(تغفو القرى) ما يدلنا على رهافة الحس، وجمال التصوير من منظر غروبي لذيذ، والشاعر لم يقف عند حدود القرى التي تنتظر ثوب العرس؛ بل انتقل نقلة عميقة..نقلة من وداعة القرية وبساطتها إلى المدن ونظرتها المحدقة"[45]، كما أنَّ في القرية نزوعاً إنسانياً نحو الطمأنينة والمتعة والطفولة، وكل ذلك يوحي بالسعة والانفتاح، بعيدا عن الانغلاق[46].

ث. الحي:

تمثِّل الأحياء أمكنة مفتوحة يتنقل الناس من خلالها إلى أماكن عملهم، والأماكن التي يقصدونها ليلا ونهاراً؛ بهدف قضاء ما لديهم من أوقات سمرٍ ومرحٍ مع أصدقائهم، سواء أكان ذلك من خلال شوارعها، أو حدائقها، أو ميادينها.

ويعدُّ "الحي من أكثر أسماء الأمكنة العربية التي تشير إلى معنى الحياة وحركتها الدائمة...وهو النواة الأولى للقرية، والبلدة، والمدينة ... ويتسم بالدفء، والحنان، والسلام، والمحبة، ومن هنا فإنه يبقى عالقاً في الذاكرة أطول مدة ممكنة؛ لأنه البدء، وهو أصول الأمكنة الأخرى"[47].

وهناك أحياء عدَّة أوردها محمد هاشم رشيد، ومنها ما يشير إلى مكانٍ ما تقام فيه فعالية ومناسبة سنوية، كما هو في مناسبة الجنادرية من كل عام:

(جنَادِرِيَّـــةُ) هَـــذَا يَـــومُ فَرْحَتِنَـــا فَاسْتَيقِظِي طَابَ فِيْ أَرْجَائِكِ السَّمَرُ[48]

وفي مكان آخر يصف الجنادرية:

جنَادِرِيَّةُ يَا بِنْـــتَ الرِّيَـــاضِ .. وَيَـــا إِضْمَامَةٌ مِنْ زُهُورٍ غَضَّـــة الأُهُـــبِ[49]

فهذا المكان المحدد (الجنادرية) يتضح – من خلال البيت – لمن لا يعرفه أنه حي من أحياء الرياض، من خلال الاستعارة التي أوردها الشاعر (بنت الرياض)، ويقام في أرجاء المكان أجنحة للمدن السعودية، يُعْرض فيها تراث آبائهم، فهو ممتد إلى فضاءات واسعة من الحضارة والمسيرة التاريخية العريضة لجميع المناطق السعودية.

وفي تقارب بين الأمكنة، واتصال بعضها ببعض، يقول في قصيدته الموسومة بـــ: بيت المدينة في الجنادرية:

(جنَادِرِيَّةُ) غَنِّـــي اليَـــومَ وَابْتَهِجِـــي وَرَدِّدِي اللَّحْنَ فِـــيْ شَـــوقٍ وَتِحْنَـــانِ
فَهَـــذِهِ (طَيْبَـــةٌ) أَنْفَاسُـــهَا عَبَقَـــتْ عَلَى (الرِّيَاضِ) تُرَوِّي كُلَّ ظَمْـــآنِ[50]

فالحي الموسوم بـــ"الجنادرية" الواقع في الرياض مكان مفتوح، يشاهد فيه الزائر عدة حضارات وثقافات، ومن ذلك طيبة الطيبة التي يشير من خلالها الشاعر إلى الركن المخصَّص لها، وقد استخدم مع هذا المكان ألفاظ البهجة والانشراح: "غني، ابتهجي، اللحن، شوق، تحنان، عبقت".

ج. الوطن والبلاد:

الوطن هو الحبُّ المتجذِّر في كل القلوب؛ نتيجة هيمنته على المشاعر والأحاسيس، والشعراء يعشقون أوطانهم، ويحنون إليها، ويهيمون فيها، والوطن هو الشاعر للدلالة على الحبِّ الكبير له، وعلى الاندماج الكلي في السياق العام للوطن[51].

ويعدُّ المكان السعودي عند محمد هاشم رشيد باختلاف أنواعه مكاناً مهماً، فالمملكة العربية السعودية مكان جامع لرؤية الشعراء واختلاف مشاربهم الفكرية والفنية، فالوطن هو المكان الأول الذي يتجذر في الذات الإنسانية، وهو النواة الخفية التي تتمحور حولها التجربة الشعرية، وقد جاءت كلمة "الوطن"، و"البلاد" في شعر محمد هاشم رشيد لتدل على الانفتاح والاتساع في مدلول هاتين الكلمتين، يقول:

وَبِلَادُهُ الكُبْرَى .. بِلَـــادُكَ لَـــمْ تَـــزَلْ كَالأَمْسِ .. مَهدَ مغَـــاورٍ وأُســـودِ[52]

تدلُّ كلمة البلاد على الاتساع والانفتاح من خلال الوصف الذي وُسِمتْ به (الكبرى)، في سياق الحديث عن اليوم الوطني، وتوحيد البلاد.

وتأتي كلمة "بلدي" في مكان آخر:

حَتَّـــى أَطَـــلَّ صَـــبَاحُ عِزَّتِنَـــا مُـــتَهَلِّلاً، بَـــيْنَ الرُّبَـــى الخُضْـــرِ
وَسَـــرَتْ أَشِـــعَّتُهُ مُرَفْرِفَـــةً وَالخَـــيرُ فِـــيْ خُطَواتِهَـــا يَسْـــرِي
تَطْوِي الدُّجَى، وَتُعِيـــدُ فِـــيْ بَلَـــدِي أَلَـــقَ الرَّبيـــعِ، وَنَضْـــرَةَ الفَجْـــرِ[53]

يصف الشاعر انفتاح المكان واتساعه من خلال الوصف الذي اتكأ عليه في أبياته أثناء حديثه عن اليوم الوطني، وتدل الكلمات الوصفية التي اعتمد عليها على هذا الانفتاح المكاني من خلال: (الربى الخضر، سرت أشعته، الخير، خطواتها يسري، تطوي الدجى، الربيع، نضرة، الفجر) فجميع هذه المدلولات توحي بالسعة المكانية والانشراح النفسي، وعدم الانغلاق في بؤرة محيط ضيق.

وتأتي كلمة "وطني" في مكان آخر:

أَقْبَلْتَ تَسْبقُ مَوْكِبَ الزَّمَنِ يَا أَجْمَلَ الأَيَّامِ فِيْ وَطَنِي(54)

تشي كلمة "وطني" بالسعة والانفتاح من خلال ربط المكان بالزمان الجميل.

ح . المكان العربي والإسلامي:

تأتي الدول العربية والإسلامية لتمثل مكاناً مفتوحاً يحلِّق فيه الشاعر من خلال اللحمة التي تربط أبناء الدول العربية والإسلامية معاً، ومن خلال الرسالة التي يمليها الشعر على أصحابه، وفي هذا الاتجاه يسير محمد هاشم رشيد عندما أدرك أنَّ وطنه لا تحدُّه مساحات ولا حدود، وإنما هو مكان مفتوح:

بَلَدِيْ .. أَحِجَازٌ هُوَ أَمْ نَجْدُ؟
لَا .. بَلْ أُفْقٌ لَيْسَ لَهُ حَدُّ
يَطْوِي كُلَّ العُرْبِ .. وَيَمْتَدُّ
حَولَ بَنِيْ الإِسْلَامِ .. لِيَغْدُو
أَمَلَ البَشَرِيَّةِ .. هَذَا وَعْدُ ! (55)

يمتدُّ المكان عند محمد هاشم رشيد، وينفتح عبر نظرة واسعة، ليشمل كل دولة عربية، وكل دولة إسلامية من خلال الانتماء الذي يشعر به الشاعر، ويمليه عليه واجبه الديني، حيث إنَّ "الشاعر وقف وقفة المتأمل المسلم مع نفسه ليرى بلاده .. حدودها .. فإذا به ينطلق ليجد كل بلد مسلم بلده .. وكل أرض علا فيها صوت المؤذن داعياً: الله أكبر هي وطنه"(56).

ومن الأمكنة العربية والإسلامية التي دخلت حيِّز الشاعر بعالمها المفتوح حديثه عن لبنان وباكستان وآسيا الصغرى وما في هذه الأمكنة من أحداث يرتبط معها الشاعر بروابط العروبة حيناً، وبالدين الإسلامي حيناً آخر، فهي أمكنة واسعة ومفتوحة لكلِّ مسلم يعتني بإخوانه في مشارق الأرض ومغاربها من خلال النظرة الواسعة الشاملة بعيداً عن النظرة الضيقة القاصرة لقُطْرٍ معين:

وَعَلَى ثَرَى لُبْنَانَ مَأْتَمُ أُمَّةٍ ... تَكْلَى، تُحَطِّمُهَا رَحَى الأَحْقَادِ

وَبِقَلْبِ بَاكِسْتَانَ جُرْحٌ غَائِرٌ ... مَا زَالَ يَنْزِفُ فِيْ ضُلُوعِ الضَّادِ

وَبِآسِيَا الصُّغْرَى شُعُوبٌ مُزِّقَتْ ... بِالمِخْلَبِ القَانِيْ وَبِالْإِلْحَادِ

وَالْمُسْلِمونَ بِكُلِّ أَرْضٍ أَصْبَحُوا ... غَرَضَ الرُّمَاةِ، وَمَنْهَلَ الوُرَّادِ[57]

إنَّ حديث الشاعر عن المكان مفتوح وواسع، لا يحدُّه زمان أو مكان، وهو حديث يتَّسع ليشمل كلَّ بلدٍ إسلامي على وجه الأرض يتعرَّض لمحنٍ ومصائب يندى لها الجبين، وتقشعر لها الأبدان، من خلال ما لجأ إليه الشاعر في أبياته من تصوير لمن مزَّق الشعوب بمخلبه الذي غرسه في جسد العالم الإسلامي لتنزف من خلاله الجراح، وتسيل الدماء.

ثانيا: الأمكنة المغلقة:

وأعني بها الأمكنة المغلوقة عن الخارج، إذْ يتجلَّى من خلالها التقيد بفضاءٍ ضيق، يقيد من الحركة والتوسع المعنوي أو الحسي.

أ. المسجد:

يعدُّ المسجد مكاناً مغلقاً في شعر محمد هاشم رشيد، على ما يمثله من رحابةٍ دينيةٍ، وراحةٍ نفسية، إلا أنَّ له حيزه الذي يدركه قارئ النص، ويعي ما يريد أنْ يقوله الشاعر في أثناء حديثه عن المسجد، وما يوحي إليه من رموز مكانية:

أُسُسُ الحَضَارَةِ وَانْطِلاقَاتُ الغَدِ ... لَمْ تُبْنَ إِلَّا فِيْ رِحَابِ المَسْجِدِ

فِيْ ظِلِّهِ نَشَأَتْ مَنَارَ هِدَايَةٍ ... وَمَنَاهِلاً حَفَلَتْ بِأَعْذَبِ مَوْرِدِ[58]

فهذا المكان الصغير بمساحته، المغلق في محيطه هو جزء من كيان الشاعر، وكيان كل مسلم يدرك أهميته في حياته اليومية، حتى وإن كان محدوداً في إطار حيزٍ صغير يُرَى ويُشَاهد، فهو "مركز للتعليم والدرس وقراءة القرآن الكريم وسماع الدروس الدينية؛ بل يتجاوز المسجد هذا الدور الثقافي إلى دور مجتمعي؛ فهو ملتقى الجيران ورمز للتعاون والأخوة من خلال ما يؤديه من وظائف؛ كالدعوة إلى المناسبات الاجتماعية، لحضور الزواج، أو لعقد اجتماعٍ خاص بين أعيان القرية"[59]، وهذا ما جعله مكاناً مغلقاً لا يستطيع غيره أن يقوم مقامه، ويؤدِّي الوظائف التي يؤديها، متكئاً في ذلك على أسلوب الحصر لتضييق المكان وحصره في المسجد فقط، دون الأمكنة الأخرى.

ب. البيت / الكوخ:

يشغل البيت مكاناً مهماً في حياة الإنسان، حيث إنه المأوى له والملجأ بعد نهاية يومٍ مليء بالعمل والكدح، والجدِّ والنشاط، وهو مصدر راحة وأمن وسكينة، كما يشكِّل مكان ثباتٍ وإقامة، وألفةٍ وطمأنينة، فهو مكان مغلق، مغلف بالأسرار، نحتمي به، ونتمدَّد فيه، نصنعه ويصنعنا، ومنه نبني عناصر عديدة لثقافتنا وعاداتنا، وأخلاقنا وقيمنا[60]، وهو "مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال"[61]، ويمثِّل البيت أهمية كبرى في حياة الإنسان فهو كونه، وعالمه الأول[62]، وهو "المأوى الذي يضمُّ الأسرة بداخله ... وهو ليس مساحة مادية فحسب؛ بل حالة احتضان نفسي/ جسدي"[63]، وهذا البيت يختلف من شخصٍ لآخر، فهناك أصحاب البيوت الواسعة، وهناك الضيقة، وهناك مَنْ يسكن الكوخ الصغير، و لم يرد في شعر محمد هاشم رشيد إلَّا الكوخ في قوله:

وَمَضَى الكَهْلُ مُثْقَلاً بِالمَآسِيْ ... يَتَخَطَّى الهَجِيرَ، نَحْوَ الدِّيَارِ

يَحْسَبُ الكَونَ كُلَّهُ فِيْ هَنَاءٍ ... وَهْوَ نَضْو الشَّقَاءِ تَحْتَ النَّهَارِ

لَمْ يَطُلْ سَيْرُهُ .. فَأَبْصَرَ كُوخَاً ... قَائِمَاً فِيْ العَرَاءِ دُونَ جِدَارِ[64]

ولعل "قيمة توظيف كلمة الكوخ تنبعث من ملاءمتها الدلالية المناسبة للمكان المغلق والمنعزل"[65]، إذْ لم يستطع الكهل أنْ يتحرَّك من خلاله، فهو مكان الأسى والحزن بصورته

الموحشة في الصحراء، راسماً ملامح الوحشة المكانية على ساكنه فهو كهل، مثقل بالهموم، أحرقته الشمس الملتهبة، متكئاً على الصورة البصرية في إظهار ضيق المكان وانغلاقه.

ت. المدارس والمعاهد والجامعات:

تعدُّ المدارس والمعاهد والجامعات من الأمكنة المغلقة، وهي أمكنة اعتنت الدولة في إنشائها في عديد من المحافظات، لتكون مكاناً يُطْلَب فيه العلم، ومكاناً يلمُّ بين شتاته أنواع العلوم وشتى المعارف:

أَأَبَــا الثَّقَافَــةِ قَــدْ بَنَيْــتَ مَعَاهِــدَاً وَمَدَارِسَــاً .. حَتَّــى بِقَلْــبِ البِيــدِ

وَفَتَحْتَ (جَامِعَةَ الرِّيَــاضِ) مَنَابِعَــاً لِلْعِلْــمِ .. تَشْــفِيْ غلَّــةَ المَعْمُــودِ(66)

هذه هي الأمكنة المغلقة في شعر محمد هاشم رشيد، تتآزر مع الشطر الآخر من الأمكنة المفتوحة، لتشكِّل ظاهرة اعتنى الشاعر فيها كثيراً، وأبرزها في شعره.

دلالات المكان وأبعاده في شعر محمد هاشم رشيد:

تعدَّدت الأمكنة في شعر محمد هاشم رشيد، وأتت على عدَّة أنماط، وهي بدلالات متنوعة، وأبعادٍ مختلفة، وذلك على النحو الآتي:

أ. دلالات نفسية:

يأتي المكان لدلالات نفسية، إذْ يرمي الشاعر من خلال المكان إلى شيء يعبِّر من خلاله، ويجيش في خاطره، وقد يكون فيه إشارة إلى مكانٍ جميل، يحمل ذكريات الفرح والسرور، وقد يكون عكس ذلك، إذْ إنَّ المكان النفسي هو "المكان المصور من خلال حاجات النفس وتجلياتها وما يحيط بها من أحداث ووقائع"(67)، حيث يكون للأديب تدخلاته الخاصة وفق نفسيته وشعوره، وليس كما هو الواقع في المكان نفسه.

ونستطيع أنْ نقسِّم الدلالات النفسية للمكان عند محمد هاشم رشيد قسمين:

القسم الأول: دلالات المكان النفسية الجميلة المفرحة: فالجبال والشذى والزهر وحبات الرمال من الأمكنة التي ارتاحت لها نفس الشاعر، فهامَ بها كثيراً، وصوَّرها في أكثر من قصيدة؛ إعجاباً بها وسرورا:

كلُّ شَيءٍ يَا حَبِيبِيْ هَا هُنَــا حَتَّــى الجِبَــالْ
وَالشَّذَى وَالدَّوحُ وَالزَّهْــرُ وَذَرَّاتُ الرِّمَــالْ
شَاقَهَا سِــحْرُ مُحَيَّــاكَ وَأَغْرَاهَــا الــدَّلالْ
فَتَمَنَّتْ لَحْظَةً تَسْــعَدُ فِيْهَــا بِالوِصَــالْ[68]

ويأتي المكان ليمثِّل راحة نفسية، ومصدر أمنٍ وأمان، يشعر به الإنسان في الوطن الغالي:

عَلَيــكِ عَلَــى القِمَّــةِ الشَّــامِخَهْ وَقَفْــتُ أَطُــلُّ عَلَــى مَــوْطِنِي
فَفِــيْ ظِــلِّ ذِرْوَتِــكِ البَاذِخَــهْ لَقِيْــتُ بِصَــدْرِ الرُّبَــى مَــأْمَنِي[69]

فالوطن مكانٌ آمن، ينعم به مَنْ يعيش فيه، ويتغنى الشاعر بذلك ليدلَّ من خلال كلماته العذبة على مدى ما وصل إليه من راحة بال، متخذاً مكانه العالي، لينظر من خلاله نظرة احترام وتقدير لوطنه الكبير، بما حباه الله من استقرار وأمان، "وهذه القصيدة تطالعنا بأفقٍ يشرق بالحبِّ ليحتضن الوطن بكل ذراته..ونلمس ذلك التدرج في الوصف الوجداني المكثف، فالشاعر يقف على جبال السراة، ومن هناك ينطلق في بحر الرؤى السعيدة، والذكريات المجيدة"[70].

وللمكان أهميته الخاصة من الناحية النفسية عند الشعراء الرومانسيين، ومحمد هاشم رشيد أحد هؤلاء الشعراء، فيسلكون بذلك الأودية الجميلة، والرياض الخضراء، وحول الأنهار العذبة؛ ينشدون الهدوء، والعيش مع الطبيعة وجمالها:

مَا زِلْــتُ مِــنْ ذَاكَ المَسَــاءِ مُغَــرِّدَاً جَــذِلاً أَضُــمُّ بِنَشْــوةٍ قَيْثَــارِي
وَأَسِيْرُ فِيْ الــوَادِيْ الجَمِيــلِ مُرَنِّمَــاً أَشْــدُو مَــعَ الأَضْــوَاءِ وَالأَزْهَــارِ
وَأُرَقْــرِقُ الأَحْلَــامَ وَالأَنْغَــامَ فِــيْ دُنْيَــا الهَــوَى وَأَعِــيْشُ كَالأَطْيَــارِ
وَأُسَائِلُ الأَكْوَانَ عَنْــكَ وَأَنْــتَ فِــيْ قَلْبِي وَلَحْنُكَ فِيْ صَــدَى أَوْتَــارِي[71]

فالمدرسة الرومانسية تختار الطبيعة مكاناً تلوذ به، فهي تأنس للأودية الجميلة، والفياض الغناء، وأنغام الأطيار المتنوعة؛ بحثاً عن سعادة ينشدونها في هذه الأمكنة التي تبعث لهم راحة

وطمأنينة، متكئين على بلاغة الاستعارة ، إذْ يخاطبون الطبيعة كإنسانٍ عاقل، يأنسون به وبألحانه وجماله.

ومن الدلالات النفسية الجميلة التي يوحي إليها المكان: الهدوء والسكون:

وَتَسَمَّعْتُ مَنْ يُنَادِي .. فَأَصْغَيْتُ مَلِيَّاً .. إِلَى الصَّدَى المِمْرَاحِ

وَإِذَا بِالنِّدَاءِ يَهْتِفُ: يَا مَيُّ وَكَانَ السُّكونُ مِلْءَ البِطَاحِ

فَإِذَا بِالدُّجَى يُعَانِقُهُ الفَجْرُ وَيَغْفُو عَلَى الشَّذَا الفَوَّاحِ

وَالسَّمَاءُ الدَّكْنَاءُ يَغْمُرُهَا البِشْرُ وَتَخْتَالُ فِيْ أَرَقِّ وِشَاحِ[72]

فهذه الأمكنة الهادئة من الطرق التي يسلكها أصحاب المدرسة الرومانسية، بحثاً عن صوتٍ هامسٍ في مكانٍ لا ينتابه الضجيج، فالبطاح يسودها السكون، في جوٍّ يوحي بالطمأنينة وراحة البال، مع ما نلحظه من "رومانسية حالمة يذكيها خيال محلِّق وقريحة وقَّادة، وعواطف متدفقة، الأمر الذي يحيل الطبيعة التي يعرضها في شعره إلى صور حية متحركة، تنطق وتسمع وترى، بما يمنحها من ألوان التشخيص والتجسيم، ويضفي عليها من ظواهر الحياة المختلفة"[73].

وتأتي بعض الأمكنة لتبعث الراحة والطمأنينة، والأنس والدعة:

وَقَالَ: لِنَمْضِ إِلَى عُشِّنَا فَقَدْ صَوَّحَتْ زَهَرَاتُ المَغِيبِ

لِنَمْضِ إِلَى الرَّبْوةِ المُسْتَهَامَةِ وَالجَدْولِ الشَّاعِرِيِّ الطَّروبِ

إِلَى الجَنَّةِ البِكْرِ بَيْنَ النَّخِيلِ تَغَنَّتْ بِحُضْنِ المَسَاءِ المَهِيبِ[74]

فالمكان الطبيعي ذو المناظر الخلابة ملجأ لأصحاب المدرسة الرومانسية، فهم يأنسون بالنخيل والجداول، والزهر، والأودية، والربوة، وغيرها من الأمكنة التي تبعث الانشراح في النفس، على أنَّ البعض يلجأ إليها من خلال كلماته الشعرية، ولو لم تكن حقيقة في حياته، ولكنه وجد ما يناسب حاله وشعوره واتجاهه الشعري فكانت عباراته تتواءم مع هذه الألفاظ الرومانسية.

ومن الأمكنة التي توحي إلى دلالات نفسية جميلة تبعث الأمل والتفاؤل، وانبلاج النور في المستقبل:

غَدَاً، يَـا فُـؤَادِي نُلَـاقِيْ الحَبِيـبَ فَكَفْكِـفْ دُمُوعَـكَ، لَـا تَيْـأَسِ

غَدَاً، نَلْتَقِـي فِـيْ ظِـلالِ الشَّـجَرْ يَحُـفُّ بِنَـا مَوْكِـبُ النَّـرْجَسِ

وَتَرْنُـو إِلَيْنَـا عَـذَارَى الزَّهَـرْ وَنَحْـنُ سُـكَارَى بِلَـا أَكْـؤُسِ[75]

يوحي الشاعر بأنَّ الحزن لا يستمر، والألم لا يدوم، فالحال تتغير ولا بدَّ للنور أنْ ينجلي، متكئاً على الكناية من خلال ما يجده من راحةٍ ودعة تحت ظلال الشجر الذي يلجأ إليه كل منهك ومتعب.

القسم الثاني: دلالات المكان النفسية الحزينة: حيث يرمز المكان أحياناً إلى دلالات نفسية حزينة، لتذكر موقفٍ ما، أو شخصٍ عزيز افتقده المكان، فكانت الذكريات الحزينة معه، ومن ذلك عندما تذكر الشاعر صديقه الغالي الشاعر ضياء الدين رجب، فقال فيه:

وَعَلَى ذُرَى "سَلْعٍ" أَكَادُ أَحُسُّ فِيْ عُمْقِ السَّكِيْنَهْ

بِالدَّمْـعِ ، بِالمَأْسَـاةِ ، بِالأَشْجَانِ ، بِالمُهَجِ الحَزِيْنَهْ

.....

وَأَصَخْتُ بِالـرُّوحِ الَّلهِيفَـةِ ، لِلسُّفُوحِ ، وَلِلتِّـلَاعْ

وَإِلَى " الثَّنِيَّـةِ " وَهْيَ تَخْـفُقُ لِلِّقَـاءِ وَلِلـوَدَاعْ [76]

فالشاعر عندما رأى الأمكنة التي كان يجتمع فيها مع زميله المرحوم أثارت مكامن الحزن والألم في نفسه.

ومن دلالات المكان الحزينة: ذكرى المسجد الأقصى:

وَبَكَـى لِلْمَسْـجِدِ الأَقْصَـى دَمَـا مَسْجِدُ المُخْتَـارِ، وَالبَيْـتُ الأَمِـينْ[77]

فالمسجدان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة يبكيان على ضياع المسجد الأقصى على مرِّ السنين.

وفي مكان آخر:

فَالقُدْسُ تَرْزَحُ تَحْتَ وَطْـأَةِ غَاصِـبٍ قَـذِرٍ، يُـدَنِّسُ مَعْقِـلَ الآسَـادِ[78]

فالحزن يلفُّ المكان بسبب المغتصب المعتدي، وقد اختار الشاعر كلمات معبرة؛ لتصوير شدة الحسرة "ترزح، وطأة، غاصب، قذر، يدنِّس، معقل" فهذه الدالات تعود إلى حقلٍ دلالي واحد يوحي إلى شدَّة الألم والحسرة التي أصابت إخوتنا في فلسطين، ويأتي هذا الاهتمام الكبير بالقدس؛ لأنها تمثل الوجود الفلسطيني في القديم والحاضر، وقد أدرك الشعراء أهميتها بوصفها عاصمة الدولة الفلسطينية، وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال[79].

ومن الدلالات النفسية الحزينة للمكان، ما يدلُّ على الأذى والألم الذي يتعرَّض له الإنسان في حياته:

سَارُوا عَلَى الصَّخْرِ وَالأَشْوَاكِ وَانْطَلَقُوا وَلِلـرَّدَى حَـولهمْ إِيمَـاءُ مُرْتَقِـبِ[80]

يرمز الشاعر إلى صعوبة العيش، والتعرض إلى مصاعب في الحياة، فالمشي على الصخر والأشواك يؤدِّي إلى الألم، والتعب النفسي.

وتأتي الغابة لتمثِّل مكاناً رومانسياً عند محمد هاشم رشيد كغيره من الرومانسيين الذين يلوذون إلى هذا المكان الذي يشي بالحزن والكآبة:

وَفِيْ لَيْلَةٍ كُنْتُ وَحْدِيْ .. أَسِيْرْ
أَسِيرُ إِلَى الغَابَةِ المُعْتَمَهْ
وَأَرْنُو إِلَى الأُفُقِ الأَسْوَدِ
لِأَلْمَحَ بَيْنَ حَنَايَا الضَّبَابْ
وَمِيضَ الشُّعَاعِ الَّذِي قَدْ تَوَارَى
هُنَاكَ بَعِيدَاً .. وَرَاءَ الأُفُقْ[81]

ب. دلالات اجتماعية:

يأتي المكان لدلالات اجتماعية، إذْ يرمز الشاعر من خلاله إلى قيمٍ إيجابية أو قيمٍ سلبية، من خلال ما يرد من سياقٍ في المتن الشعري.

وقد يشي المكان بالفرح والسعادة لمكانة شخصٍ ما، لسموِّ أخلاقه، وكريم صفاته، ومن ذلك حديث الشاعر عن "طيبة" الطاهرة، وهي تعبِّر عن سرورها وسعادتها بقدوم رائد الفضاء صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بصحبة زميله في الرحلة الفضائية، فيقول:

هَـــذِهِ طَيْبَـــةٌ تَتِيـــهُ بِـــكَ اليَـــوْ ... مَ وَتَرنُـــــو بِفَرْحَـــــةٍ وَانْتِشَـــــاءِ
وَتَضُمُّ (البَسَّامَ) وَالأُخْـوةَ الأَفْـــ ... ـــــذاذَ بِالحُـــبِّ وَالمُنَـــى وَالرَّجَـــاءِ
إِنَّهَـــا مَشْـــرقُ الهُـــدَى وَمَنَـــارٌ ... لِلْمَعَـــــالِي وَمَعْقِـــــلٌ لِلإِبَـــــاءِ
وَهْيَ أُمُّ المَدَائِنِ الشُّـــمّ فِـــيْ الكَـــونِ ... وَمَهْـــــدُ الرِّسَـــــالَةِ العَصْـــــمَاءِ
أَذِنَ اللهُ أَنْ تَعُـــــــودَ إِلَيْهَـــــــا ... فِـــيْ رِكَـــابِ الأَحْفَـــادِ وَالأَبْنَـــاءِ[82]

يسوق الشاعر حديثه عن فرح الشعب بقدوم شخصية لها مكانتها الاجتماعية ممزوجاً بسياق فني بديع من خلال الاستعارة التي دلَّت على مزاوجةٍ بين المكان وأهله، فالجميع فرح ومسرور، وتائه في بحر المحبة لمن يمّم شطرها زائراً مشتاقا.

ومن دلالة المكان اجتماعياً عند محمد هاشم رشيد تصويره لمرأة ثكلى فقيرة، وهي نائمة في الشارع، تفترش الغبراء، وتلتحف السماء دون غطاء أو مأوى بصورة تبعث الأسى والحزن، وتثير الإنسانية والعطف والشفقة، يصحبها طفل صغير، يتوسَّد ذراعيها ويضاعف آلامها في صورة إنسانية بائسة[83]:

أَبْصَـــرْتُهَا وَاللَّيـــلُ دَاجٍ رَهِيـــبْ ... مُحْلولِـــكُ الآفَـــاقِ عَـــاتِي الجَنَـــاحْ
أَبْصَـــرْتُهَا فِـــيْ هَـــدْأَةِ الشَّـــارِعِ ... تَنَـــامُ فَـــوقَ الأَرْضِ ! فَـــوقَ التُّـــرَابْ
فِـــيْ مُقْلَتيهَـــا نَظْـــرَةُ الضَّـــارِعِ ... وَفِـــيْ مُحَيَّاهَـــا ظِلَـــالُ العَـــذَابْ
نَامَتْ عَلَـــى الأَرْضِ وطِفْـــلٌ صَـــغِيرْ ... مَوسَّـــدٌ سَـــاعِدهَا المُجْهَـــدَا[84]

ومن صور المكان الاجتماعية عند محمد هاشم رشيد صورة الغني الذي لذعته حرارة الجوع والعطش في نهار رمضان فأثَّر في سلوكه، وتذكَّر معاناة الفقراء والمساكين، فهو يعيش في رغدٍ في قصره الفسيح، ومع ذلك أحسَّ بحكمة الصوم، وتذكَّر إخوانه الضعفاء:

قَـــالَ يَـــا رَبِّ إِنَّنِـــي فِـــيْ طَرِيْقِـــي ... نَحْـــوَ قَصْـــرِيْ، أَعِـــيْشُ كَالأَطْيَـــارِ

وَلَقَـــدْ أَشْـــعَلَ الهَجِـــيرُ فُـــؤَادِي ... وَغَـــدَا اليَـــأْسُ وَالشَّـــقَاءُ شِـــعَارِي

لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الصَّدَى وَيَقُدُّ الـــ ... ـــجُوعُ جِسْـــمِيْ بِسَـــيْفِهِ البَتَّـــارِ

كَيـــفَ يَـــا رَبِّ هَـــؤُلاءِ، وَمَـــاذَا ... سَوفَ يَلْقَى الضِّـــعَافُ مِـــنْ أَضْـــرَارِ؟

وكانت نتيجة الروحانية التي عاشها الغني في صيام رمضان، وإدراكه الحكمة منه أنْ نادى جيرانه ممن هم أقل منه اجتماعياً طالباً منهم أنْ يهجروا أكواخهم وينزلوا في رحابه:

وَأَتَى الكُـــوخَ قَـــائِلاً: أَيُّهَـــا القَـــوْ ... مُ هَلُمُّـــوا فَـــأَنْتُمُ فِـــيْ جِـــوَارِي

اهْجُرُوا الكُوخَ، وَانْزِلُوا فِيْ رِحَـــابِي ... أَنْـــتِ أُمِّـــي، وَهَـــؤُلاءِ صِـــغَارِي!

هَكَذَا الصَّومُ، رَحْمَةٌ تَغْمُـــرُ القَلْـــ ... ـــبَ فَيَحْيَـــا بِسُـــنَّةِ الإِيْثَـــارِ[85]

"فالمكان يتغلغل في أنحاء الجسد، ويستقر في صميم الذات، لذلك فهو يساهم في تشكيل وصياغة جانب من جوانب منظومة القيم لدى الإنسان"[86]، حيث أثر الكوخ في أخلاق الغني، فكانت القيمة الإيجابية لديه، متأثراً بالمكان الماثل أمامه.

ويأتي المكان للحديث عن مناسبة اجتماعية ليدل على اجتماع الشعب في هذا المكان تحت مظلة الثقافة والتراث الأصيل، وهو ما يمثل للعيان في مهرجان التراث السنوي المقام في رحاب الجنادرية بالرياض، حيث تغنى الشاعر بالتظاهرة الثقافية والاجتماعية:

يَـــا رِيَـــاضَ الفَخَـــارِ وَالعَلْيَـــاءِ ... وَمَنَـــارَ الهُـــدَى وَرَمْـــزَ الفِـــدَاءِ

عَادَ لِلشِّـــعْرِ، وَالثَّقَافَـــةِ، وَالإِبْـــدَاعِ ... فِـــيْ ظِـــلِّ قَلْبِـــكِ المِعْطَـــاءِ

مَا طَوتْهُ الأَسْفَارُ، مِنْ قَصَـــصِ الجُـــودِ ... وَذِكْـــرَى الأَشَـــاوسِ الكُرَمَـــاءِ

وَتَلاقَـــى التُّـــرَاثُ فِيـــكِ بِأَسْـــمَى ... مُعْطَيَـــاتِ الثَّقَافَـــةِ الغَـــرَّاءِ

فِـــيْ رِحَـــابِ (الجَنادِريـــةِ) عشْـــنَا فِيْ رَفِيـــفِ الأَطْيـــافِ وَالأَصْـــدَاءِ[87]

ومن الدلالات الاجتماعية للمكان عند محمد هاشم رشيد الفرح الذي يعيشه المكان وأهله تجاه قادة البلاد وحكامها، فطيبة الطاهرة تنتشي طرباً وفرحاً بأميرها – آنذاك – صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد، محبة فيه، وإيماناً بمكانته العالية:

جَـــوَانحُ طَيْبَـــةٍ ضَـــمَّتكَ شَـــوقَاً وَغَنَّتْ فِـــيْ السُّـــهولِ وَفِـــيْ النُّجـــودِ

فَأَنْـــتَ أَمِيرهُـــا الغَـــالِي، تـــوالَى مَســـيرَهَا، مَـــعَ الأَمَـــلِ الرَّغيـــدِ[88]

وتأتي لفظة "البلدة" عند محمد هاشم رشيد لتمثِّل دلالة اجتماعية يرسم من خلالها لوحة المحبة والوفاء من أهلها لصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز:

هَنِيئَـــاً لَـــكَ الحُـــبُّ مِـــنْ بَلـــدَةٍ تُحِـــبُّ المَعَـــالِي وَتَهْـــوَى الكَـــرَمْ[89]

يظهر من خلال اللفظة مدى اللحمة الاجتماعية التي يكنها أصحاب البلدة لولاة أمرها، ومدى الارتباط الشديد الذي يجمع الأمير بأهل منطقته.

ت. دلالات وطنية:

من أبرز الدلالات المكانية ما يخصُّ الانتماء الوطني عند الشعراء، إذْ ركَّزوا كثيرا عليها، فعبَّروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الوطن، وأهمية الانتماء إليه، وتمجيده، والمشاركة في مناسباته من خلال الأمكنة.

فمن هذه الدلالات الوطنية: ولاء المدن، وخضوعها لحكامها، وشعورها بالواجب نحوهم:

مَوْلَايَ عَفْـــوُكَ (فَالمَدِيْنَـــةُ) كُلُّهَـــا أَلَـــقٌ يَشُـــعُّ بِعِقْـــدِهَا المَنْضُـــودِ

أَنَّى اتَّجَهْتَ تَرَى القُلُـــوبَ صَـــوَادِحَاً نَشْوَى .. تُجَلْجِـــلُ بِالصَّـــدَى الغِرِّيـــدِ

وَتَرَى بِطَيْبَةَ .. كُلَّ شَـــعْبِكَ هَاتِفَـــاً مُتَرَنِّمَـــاً .. فِـــيْ يَوْمِـــكَ المَشْـــهُودِ

يَرْنُـــو إِلَيْـــكَ بِفَرْحَـــةٍ مَمْزُوجَـــةٍ بِالحُـــبِّ ، وَالإِخْلَـــاصِ ، وَالتَّأْيِيـــدِ[90]

يردِّد الشاعر ولاء المدينة لحاكمها، ويذكر اسمها مرة بـــ"المدينة"، ومرة أخرى بـــ"طيبة"، وما ذاك إلا شعورٌ بالولاء لحاكم البلاد، وفي تعداد الأسماء شرف للمسمى، وفي

استخدام الاستعارة بلاغة وزيادة في المعنى، فالمقصود أنَّ أهل المدينة يدينون بالفرح والسرور، ويشاركهم في الفرحة المكان نفسه.

ويردِّد محمد هاشم رشيد أماكن طيبة، وجبالها، ومساجدها، ونخيلها، وأوديتها، وسهولها، وروابيها لتعبر عن ولاء تام، وأنموذج وطني فريد، يدلُّ على اللحمة القوية التي تجمع الشعب مع قائده:

يَا مَلِيكَ البِلَادِ، يَـا نَبْضَـةَ الشَّـوقِ ... بِأَعْمَاقِنَـا، وَسِـحْرَ الغِنَـاءِ
هَذِهِ طَيبةٌ يُعَانِقُـكَ التَّـارِيخُ فِيـْ ... ـهَا ، عَلَـى جَنَـاحِ الرَّجَـاءِ
ذِكْرياتُ الفُتـوحِ طَافَـتْ حَوَالَيـكَ ... لِـواءً ، يَـرُفُّ خَلْـفَ لِـواءِ
وَبِأُحْـدٍ، وَفِـيْ المَسَـاجِدِ ذِكْـرَى ... خَفَقَـتْ فِـيْ قَدَاسَـةٍ وَاعْتِلَـاءِ
وَالنَّخِيلُ النَّشْـوانُ حَـولَ العَـوَالِي ... وَقُبَـاءٌ ، يَهْتَـزُّ فِـيْ خُـيَلاءِ
وَبِوَادِي العَقِيقِ ، يَخْضَوضِرُ الصَّـخْرُ ... وَيَفْتَـرُّ بِالنَّـدَى وَالعَطَـاءِ
وَبِقُرْبَـانَ لَهْفَـةٌ لِلتَّلَـاقِي ... وَنَسِـيمٌ يَسْـرِي عَلَـى اسْـتِحْيَاءِ
إِنَّهَـا طَيْبَـةٌ، وَهَـذَا صَـدَاهَا ... فَـاضَ بِالحُـبِّ، وَازْدَهَـى بِالوَفَـاءِ
رَدَّدَتْـهُ سُـهُولُهَا ، وَرُبَاهَـا ... وَمَغَـانِي رُبُوعِهَـا الزَّهْـرَاءِ[91]

في الأبيات سلاسة وشعور وولاء ازدانت بصدق المعاني، وخروجها من ابن بارٍ من أبناء الوطن، استخدم من خلال رسالته إلى عاهل البلاد أسلوب النداء ليرسل إليه شعور المكان بأكمله – المدينة المنورة –، كما أنَّ الشاعر عبَّر بالجماد (طيبة، أحد، النخيل، قباء، العوالي، العقيق، قربان، سهولها، رباها) ليشعر المتلقي بعظيم المحبة والولاء والانتماء، فإذا كان المتكلم – وهو ساكن المدينة – على درجة مطلقة من المحبة والولاء مما يشعر ويقول فإن هذه – الجمادات – بما حوت، وبما اشتملت عليه من الكائنات الحية والجامدة والمرئية وغير المرئية تشارك العقلاء الشعور نفسه، وتزاحمهم على محبة أميرهم، وإعلان الولاء والطاعة له[92]، بالإضافة إلى ما ورد من تقديم الجار والمجرور "بأحد، في المساجد، بوادي العقيق،

بقربان" حيث إنَّ في ذلك لمحة فنية معبرة توحي بحبِّ هذه الأماكن لمليكها، كما أنَّ الجملة الاسمية طاغٍ حضورها في الأبيات، وفيها ملمح الاستمرارية في محبة الأماكن وولائها الكبير لقائد البلاد.

وتتعدَّد المدن السعودية تعبيراً عن ولاء أمكنتها وحبها لمليكها:

وَلَكُـــمْ تَحيَّـــاتِي تَضَـــوَّعَ عِطْرُهَـــا بِعَبيرِ (طَيْبَةَ) وَابْتِسَامَةِ (حَائِـــلِ) [93]

فهذه الأمكنة تأتي بدلالات وطنية متعددة، ولا يقتصر ذلك على مكان واحد، فهنا طيبة تأتي برائحة زكية تجاه المليك، وحائل تبتسم ابتسامة المحب، فكأن أمكنة الوطن عرائس قد ازدانت بالحسن والجمال، والرائحة الطيبة، والابتسامة العذبة لوالدها القائد.

ومن دلالات المكان الوطنية: الفخر الذي ينتاب الشاعر تجاه مناطق المملكة العربية السعودية، وسروره بما حقَّقته من تجاوز الصعاب:

وَكَـــمْ ذِكْرَيَـــاتٍ لَنَـــا فِـــيْ عَسِـــيرٍ يُصَـــفِّقُ نَجْـــدٌ لَهَـــا وَالحِجَـــازُ

مَرَابِعُ شَـــعْبٍ ... كَبِـــيرٍ ... كَبِـــيرٍ تَحَدَّى صُرُوفَ اللَّيـــالِي ... وَفَـــازْ[94]

فأنَّى اتجهت في أيِّ مكانٍ في الوطن السعودي فستجد نتائج التقدم والازدهار، والتغلب على مصاعب الحياة، والسير قدماً نحو التطور في ظلِّ شعبٍ كبير، يحبُّ وطنه، وينتمي إليه.

ث. دلالات دينية:

من أهمِّ الدلالات التي يثيرها المكان في الشعر السعودي، وذلك لوجود الحرمين الشريفين، فمكة المكرمة قبلة المسلمين، ومهبط الوحي، ومولد النبي الأمين، ويفد إليها ملايين المسلمين في كلِّ عامٍ لأداء فريضة الحج، ومناسك العمرة، وهي "المكان الذي يجمع إلى قدسيته البيئة والموقع والسكان باعتبارها مهاداً طبيعياً للفكر والأدب"[95]، وفي المدينة المنورة مسجده صلى الله عليه وسلم، وكل هذا أعطى للمكان السعودي منزلة دينية بين المسلمين.

فالبيت الحرام مكانٌ ديني يفد إليه ملايين المسلمين كل عام، وهو مكان متعبدهم حجاً وعمرة، وهناك القضايا الإسلامية التي يجتمع زعماء الدول الإسلامية للتشاور فيما بينهم حولها:

أَحْمَـــدُ اللهَ الَّـــذِيْ جَمَّعَنَـــا فِيْ حِمَى الكَعْبَةِ وَالبَيْـتِ الأَمِـينْ[96]

فمكة المكرمة المكان الأنسب لزعماء المسلمين في اجتماع القمة الذي عقد في ظلال البيت الحرام في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وهو مكان ديني يتواءم مع هؤلاء القادة، والهدف الذي اجتمعوا من أجله، وستظل مكة المكرمة مكاناً عبقرياً معجزاً، يلهب قريحة الشعراء، يتجلَّى من خلالهم إبداعهم الشعري، وصورهم الجميلة تجاه المكان الذي تهوي إليه الأفئدة المؤمنة[97].

وقد تردَّد المسجد النبوي الشريف عند محمد هاشم رشيد كثيراً:

وَعَلَـى مَسْـجِدِ الرَّسُـولِ ابْتِهَـاجٌ غَمَـرَ المُسْـلِمِينَ بِشْـرَاً، وَحَمْـدَا

فَهْوَ أَغْلَـى أُمْنِيَّـة، وَهْـوَ لِلأُمْـ ـمَةِ أَسْمَى يَـدَاً، وَأَكْـرَمُ رِفْـدَا[98]

فمسجده صلى الله عليه وسلم يوحي بدلالة دينية، فهو مكان آمن، وملاذ إيماني لملايين المسلمين ممن يفد إليه طوال العام، وفي تقديم الجار والمجرور أهمية للمقدَّم، وشرف له (مسجد الرسول)، إذْ يرد في البداية لتعقبه النتيجة (ابتهاج) لكلِّ مَنْ شعر وأدرك بأنَّ "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون"، وحول موضوع التقديم فقد قال سيبويه: "كأنهم إنما يقدِّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا جميعاً يُهِمَّانهم ويَعْنِيانهم"[99]، كما أنَّ في استخدام حرف الجر (على) زيادة في الدلالة على العلو لهذا المكان الطاهر.

وفي متنٍ شعري آخر يقول:

هَا هُوَ (المَسْـجِدُ الشَّـرِيفُ) وَفِيـهِ رَوْعَـةٌ دُونَ وَصْـفِهَا الأَقْلَـامُ[100]

فالإشارة إلى المكان فيها ملمح الإعجاب والإكبار، لا يستطيع البيت الشعري أنْ يمنحه وصفاً يُكتفَى به، وإنما هي خطرات المؤمن الذي علّق قلبه بمحبة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ومسجده الطاهر، ولا شكَّ أنَّ "الثقافة الجمالية، والحكم الجمالي، عنصران مهمان

في شخصية الشاعر الإبداعية، لاسيما في رصد جماليات المكان الديني؛ لأنَّ الإحساس بالجمال هنا تتحكَّم فيه ظروف الشاعر النفسية، والوجدانية وتقوم طاقة الحكم الجمالي بضبط المشاعر الوجدانية الفياضة، تجاه الرمز الديني الذي يشعُّ قدسية على المكان الذي يحويه، وقوة الإشعاع هذه لا تتساوى في أنظار كلِّ الشعراء، بل تتباين تبعاً لما يمثله هذا الرمز، وما يوحي به هذا المكان في معتقد وثقافة الشاعر الدينية"[101].

وقد يجمع محمد هاشم رشيد بين هذين المكانين الشريفين؛ في ظلِّ هدفٍ سامٍ يريد أنْ يحقِّقه:

(أُمُّ القُرَى) ، وَنِدَاءُ الحَـــقِّ مُنْطَلِـــقٌ مِنْ أُفْقِهَـــا، وَشُـــعَاعُ الفَجْـــرِ يَنْبَثِـــقُ

وَ(طَيْبَةٌ) تَحْمِلُ الرَّايَاتِ فِـــيْ يَـــدِهَا مَزْهُوةً ، وَخُيولُ النَّصْـــرِ تَسْـــتَبِقُ[102]

فأم القرى هي المكان الذي انطلق منه نداء الحق، ومن هذا المكان انبلج نور الفجر، يقول المولى – سبحانه وتعالى- : ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[103]، وشعشع ضياؤه في طيبة الطيبة، وفي فضلهما ورد عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: "**صَلَاةٌ فِيْ مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ، إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَصَلاةٌ فِيْ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ**"[104].

و لم تقتصر الأماكن الدينية على مكة والمدينة؛ بل تخطَّت ذلك إلى ذكر المساجد، والأماكن التاريخية التي ترتبط برمزٍ ديني ليرصد من خلالها مظاهر الروعة والإتقان، ويتجلى من خلالها خيال خصب، وصفاء روحي يشعُّ بالجمال والروحانية، والقدسية والاحترام، حيث تردَّدت عدَّة أماكن ترمز إلى دلالات دينية متعددة، فهناك العقيق، وقباء، وأحد، وسلع، وحراء، وجبل النور، وقد جمع كثيراً من هذه الأمكنة الدينية في قوله:

وَتَمُــــرُّ الشُّـــــهورُ .. ثُـــــمَّ يُـــــوَافِيْ مَوسِـــــمَ الحَـــــجِّ .. مَوْعِـــــدُ الأَوْفِيـــــاءِ

وَإِذَا " طَيْبَـــةُ " الحَبِيبـــةُ مَـــا زَالَـــتْ عَلَـــى الوَعْـــدِ فِـــيْ انْتِظَـــارِ الّلقَـــاءِ

....

وَدَّعَتْـــهُ .. إِلَـــى مَشَـــارِفِ "أُحْـــدٍ" وَالرُّبَـــى الخُضْـــرِ فِـــيْ ضِـــفَافِ العَقِيـــقِ
وَالجِنَـــانُ الغَنَّـــاءُ حَـــولَ العَـــوَالِي وَعَلَـــى كُـــلِّ تَلْعَـــةٍ أَوْ طَرِيـــقِ[105]

إنَّ المنظومة اللفظية في سياق الأبيات: "طيبة، أحد، العقيق، العوالي" تزخر بشعورٍ ديني يحقّق قيمتها العالية في سياق استعراض قدسية المكان، ويعزِّز السياق النصي من ترابطها لأداء معنى الكمال الديني وإشعاع النور، حتى صارت في مرتبةٍ عالية لا تتحقَّق لمكان آخر، كما تضافر اللفظ والمعنى لأداء الفكرة من خلال الكلمات: "يوافي، موسم الحج، موعد الأوفياء، الحبيبة، الوعد، انتظار اللقاء، الربى الخضر، الجنان الغناء، تلعة" لتتحقَّق لهذه الأمكنة خاصية فريدة اتسمت بالجمال والقداسة، وقد "اتخذ الشاعر موقفاً فريداً امتزج فيه الجماد بالإنسان، والحسّ الوجداني بجموح الخيال، والجانب المادي بالجانب الروحي؛ لأنَّ هذا الجبل يعني عند الإنسان المسلم كثيراً من القيم، فهو "رمز إسلامي" لأمة وعى مولدها، وهو (وعاء بطولة) لدماء زكية روت ثراه، وهو (مصدر من مصادر التاريخ) باعتباره منبعاً من منابع البحث الإسلامي"[106]، كما أنَّ وادي العقيق له فضلٌ دينيٌّ كبير، **فقد رُوِي عَنْ عُمَرَ – رَضْيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ– بِوَادِي العَقِيقِ يَقُولُ: "أَتَانِي اللَّيلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّيْ فَقَالَ: صَلِّ فِيْ هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِيْ حجَّةٍ"**[107]، "وقد كان هذا الحديث النص الأول الذي خلع على الوادي صفة عُرِف بها فيما بعد، وهي: "المبارك" التي تواترت مع الاسم "العقيق" للدلالة على المكانة الدينية الرفيعة للوادي"[108].

وهذه الأمكنة الدينية، وغيرها من أمكنة المدينة المنورة التي ازدانت بمقدمه صلى الله عليه وسلم جمعت بين شرف المكان لهجرته إليها، وكذلك جمال طبيعتها بما حباها الله من خضرة، سواء أكان الجمال في المكان نفسه، أو فيما أحاط به من بساتين وجنان.

ويقول في قصيدة "صدى الهجرة":

لَا يَـــزَالُ الصَّـــدَى يَـــرِنُّ بِمَسْـــمَعِي مِنْ "حِرَاءَ" وَمِـــنْ جَوَانِـــبِ "سَـــلْعِ"
وَعَلَى كُلِّ بُقْعَـــةٍ مِـــنْ بِقَـــاعِ الأَرْضِ تَهْفُـــوْ إِلَـــى الضِّـــيَاءِ المُشِـــعِّ[109]

إنها صدى الهجرة التي رنَّ صداها في بقاع الأرض، وكان لغار "حراء" شأن في ذلك، حيث كان المكان المتعبَّد للرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم–، ثم هجرته إلى المدينة المنورة، لتفرح به أمكنتها المتعددة، ومنها جبل "سلع"، حيث إنَّ الشاعر يرمي إلى أنَّ النور والضياء وُجِدا في القمة الشماء على مشارف مكة والمدينة.

وفي جبل النور الذكريات الخالدة للرسالة السماوية، فهو المكان المنطلق لعبادته صلى الله عليه وسلم، والجبل الذي شهد ولادة رسالة السماء التي عمَّ نورها الأرض، وخلَّص البشرية من ظلمات الجهل، حيث نزل الوحي لأول مرة عليه:

جَبَـــلَ النُّـــورِ يَـــا جَبَـــلْ شَـــبَّ فِـــيْ سَـــفْحِهِ الأَزَلْ
أَنْـــتَ أُغْـــرُودَةُ المُنَـــى أَنْـــتَ أُنْشُـــودَةُ الأَمَـــلْ
أَنْـــتَ دُنْيَـــا مِـــنَ الـــرُّؤَى مِلْؤُهَـــا الحُـــبُّ وَالجَـــذَلْ
عَـــاشَ قَلْبِـــي بِظِلِّهَـــا وَتَغَنَّـــى وَلَـــمْ يَـــزَلْ
أَنْـــتَ مَـــأْوَى (حَبِيبِنَـــا) حِيْنَمَـــا قَـــامَ وَاعْتَـــزَلْ
وَمَضَـــى فِـــيْ اعْتِكَافِـــهِ يَرْقُـــبُ الحَـــادِثَ الجَلَـــلْ[110]

فالأمكنة الدينية ليست مجرد كتلٍ صخريةٍ جامدةٍ ممتدةٍ على سطح الأرض، ولكنها جزءٌ من حياة المسلم، وتاريخه الحافل المهيب، فأحدٌ على سبيل المثال "جبلٌ يحبنا ونحبه"، والمكان وإنْ كان خالياً من الخضرة المادية، فقد أورق في تاريخنا الإسلامي صفحات من العبر والأحداث، كما أزهر في قلوب المسلمين روحانية لا تذبل[111].

لقد استطاع محمد هاشم رشيد أنْ يوظِّف الجمال الديني خير توظيف، ساعده في ذلك ثقافته، ووعيه الجمالي، وقدرته الإبداعية على إضاءة الجمال في أبيات قصيدته، من خلال إبراز ذلك للمتلقي، ليقف على مكان الجمال والحسن فيها عبر عدَّة أمكنة تجمعها الدلالة الدينية التي توحي بإيمانية الشاعر، وتعلُّقه برموز الأمكنة الدينية المنتشرة بين أرجاء مكة والمدينة.

ج. دلالات تاريخية:

يأتي المكان لدلالات تاريخية، وليس معنى ذلك بأنْ يقوم الشاعر "بإعادة كتابة التاريخ بأحداثه ووقائعه الحرفية، فهذا ليس عمل الشاعر، وإنما إعادة قراءة هذا التاريخ والواقع، وفق رؤية وموقف الشاعر، وفي الوقت نفسه وفق الرؤيا التي تنسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة الشعرية"[112]، فالتاريخ رافدٌ من روافد الأدب، يأخذ منه الشاعر الأحداث ويسوقها بأسلوبه الذي وهبه الله إياه، مختلفاً بذلك عن سرد الوقائع والأحداث، فتأتي الصياغة الجيدة، مع الخيال والتصوير ليتكوَّن من خلالهما نصٌ جديد.

وللمكان التاريخي ارتباطٌ وثيقٌ بالزمن، إذْ إنَّ له الأثر الأكبر في تشكيله، فالتجربة الشعرية تتكئ بصفة مباشرة على المكان، تستلهم الزمن، وتسايره، وتأخذ منه عبره[113]، ومن أشهر الأمكنة التاريخية التي تردَّدت على لسان محمد هاشم رشيد وادي العقيق، "وقد تجاوز تاريخ العقيق لدى شعرائه حدود المعاني العاطفية إلى ما يمكن وصفه بكينونة المكان وجوده الحقيقي عبر التاريخ، ولاسيما وذلك التاريخ يتخذ موقعه المكين في الذاكرة الجماعية فما أنْ يُذكر العقيق أو أحد مكوناته أو مجاوراته حتى تتداعى في الذاكرة سلسلة الأحداث والوقائع التي مرَّت به والشخصيات التي ارتبطت به، والسير التي تشكِّل جزءا من حياة أولئك الأشخاص"[114]، ويحرك المعنى التاريخي للمكان مواجد محمد هاشم رشيد فيتذكر العقيق وأمكنته التي ارتبطت بالتاريخ الإسلامي:

لَمْ تَزَلْ
نَجْوَى (قُبَاءٍ)
وَ(العَقِيقْ)
دِيمَةً فِيْ أَضْلُعِي
تَنْهَمِرْ
وَذُرَى (أُحْدٍ)
صَوَى .. عَبْرَ الطَّرِيقْ
تَزْدَهِي الشَّمْسُ .. بِهَا
وَالقَمَرْ

لَمْ يَزَالُ النُّورُ .. يَهْمِي
مِنْ (حِرَاءٍ)
وَالنِّدَاءَاتُ ..
مِنَ البَيتِ العَتيقْ
تَصِلُ الأَرْضَ
بِأَهْدابِ السَّمَاءِ
وَالغَد المَوْعُود
بِالمَاضِيْ السَّحِيقْ[115]

فهذه الأمكنة التي تمَّ سردها في هذه الأسطر الشعرية أمكنة ارتبطت بالتاريخ الإسلامي المهيب عبر قرون عدة، وكل منها يرتبط بمعركة عظمى، أو بحدثٍ تاريخي يذكِّرنا بالعزَّة والمكانة العالية.

ومن دلالات المكان التاريخية عند محمد هاشم رشيد:

قَطَعَ المَفَاوِزَ وَالصَّحَارِي وَاعْتَلَى ... فَوْقَ الفِجَاجِ الفَيْحِ وَالآكَامِ
وَبِقَلْبِهِ الرَّحْبِ الكَبِيرِ مُخَطَّطٌ ... عَزَّتْ مَرَامِيهِ عَلَى الأَفْهَامِ
شَدَّ المَطِيَّ إِلَى الرِّيَاضِ وَقَادَهَا ... بِصَحَابةٍ لَمْ يَخْفُرُوا بِذِمَامِ
فَأَعَادَ مُلْكاً مَزَّقَتْهُ شَرَاذِمٌ ... نَهَلَتْ وَعَلَّتْ مِنْ قَذَى الآثَامِ[116]

هناك مكانان يمثِّلان صورتين تاريخيتين متضادتين: صورة المفاوز والصحاري، وهي تمثِّل تاريخ الجزيرة العربية وحالتها التي كانت عليها قبل فتح الرياض، وصورة أخرى تتمثَّل في الحصول على نتيجة إيجابية، ففي أمكنة "المفاوز، الصحاري، الفجاج، الآكام، الرياض" قصة كفاح، وسيرة تاريخية سطَّرها كتب التاريخ من خلال عنوان موسوم بـ"فتح الرياض"، حيث ارتسمت بطولة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بدخوله الرياض، واستعادة ملك آبائه، ليعيش المواطن في مكانٍ آمن باطمئنان، وراحة بالٍ وهناء.

ومن دلالات الأمكنة التاريخية توحيد الجزيرة العربية:

تَأَلَّقَــتْ بِنَــدَاهُمْ كُــلُّ مُقْفِــرَةٍ مِنَ الجَزِيْــرَةِ وَانْزَاحَــتْ يَــدُ النُّــوبِ
وَأَقْبَلَــتْ بِهُــمُ الأَيَّــامُ بَاسِــمَةً قَرِيرَةً بَعْدَ طُولِ الكَــدِّ وَالنَّصَــبِ[117]

فبعد أنْ كانت الجزيرة العربية مكاناً مخيفاً، لا يأمن المسافر على نفسه، أصبحت آمنة بعد توحيد البلاد على يد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وإقامة شرع الله فيها.

ومن دلالات المكان التاريخية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي انطلقت من الدرعية:

تَطَلَّعَتْ فَإِذَا (الدِّرْعِيَّــةُ) انْطَلَقَــتْ وَدَعْوَةُ الحَقِّ فِيْهَا وَهْــيَ تَنْتَصِــرُ[118]

فهذه الدعوة التي تولاها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآزرها آل سعود كان المنطلق الأول منها الدرعية، حيث كان لهذا المكان صدىً في التاريخ يُرَدَّد في المجالس، ويُقْرَأ في الكتب.

ح. دلالات سياحية:

تعدَّدت أماكن السياحة عند محمد هاشم رشيد، فوادي العقيق من الأمكنة التي عاش فيها الشاعر ذكريات جميلة بما حباه الله من جمالٍ وبهاء، يقول الشاعر عنه: "هنا إلى الغرب من مدينتنا الحبيبة – المدينة المنورة- يمتدُّ وادي العقيق هذا الوادي الجميل الذي وشته يد الخالق العظيم، بأرق الصور، وأبدع المفاتن، وأروع الألوان، وهنا على صدره الحالم، حيث تضطجع الرمال شاخصة بأبصارها إلى الأفق الساحر الذي يتشح بالغيوم، ويبتسم بالنجوم، ويتهلَّل بالترانيم"[119]، يقول محمد هاشم رشيد:

فِيْ شَاطِئِيكَ عَرَفْتُ سِــرَّ وُجُــودِي وَقَبَسْتُ مِــنْ أَلَــقِ السَّــمَاءِ نَشِــيدِي
وَوَقَفْتُ فِيْ ثَبَجِ الرُّؤَى .. أَرْنُو إِلَــى رَقْصِ السَّنَى .. فِيْ مَوجِــكَ العِرْبِيــدِ
وَأَهِيمُ فِيْ دُنْيَــا الخَيَــالِ ، وَسِــحْرِهِ مُتَخَطِّــرَاً .. فِــيْ ظِلِّــهِ المَمْــدُودِ
وَصَدَى خُطَاكَ عَلَى الرِّمَــالِ مَلَــاحِنٌ تَنْسَــابُ بِــالأَفْرَاحِ ، مِــلءَ البِيــدِ
وَيَدَاكَ تَحْتَضِــنُ الصُّــخورَ فَتَرْتَمِــي فِــيْ لَهْفَــةِ المُتَشَــوِّقِ المَعْمُــودِ[120]

وقد منح الخالقُ العقيقَ طبيعةً خلابةً، وجمالاً ساحراً، حيث تتسم جباله بالخضرة، ومن خلالها الجداول التي تنساب فيما بينها، لتمثِّل مكاناً جميلا يجتمع حوله الناس، لينعموا بجماله، ويأنسوا بروعته، فهو مدرسة من مدارس الطبيعة تغنى به الشعراء قديماً وحديثاً[121]، ويقدّمه محمد هاشم رشيد بصورة مكانٍ مشرقٍ يأنس فيه، وتتطلَّع عيناه إلى رؤيته، وقلبه إلى احتضانه:

الفَجْـرُ يَمْلَـأُ بِالضِّـيَاءِ جَـوَانِحِي وَيُعَـانِقُ الأَحْلَـامَ بِالأَشْـوَاقِ
وَالنَّبْـعُ ظَـامٍ .. كُلَّمَـا نَاغَيْتُـهُ أَذْكَى لَهِيـبَ الشَّـوقِ فِـيْ أَعْمَـاقِ
وَتَطَلَّعَتْ عَيْنَايَ .. تَحْتَضِـنُ الـرُّؤَى وَتَهِـيمُ خَلْـفَ غَيَابَـةِ الآفَـاقِ[122]

تأتي مفردات الأبيات لتمثِّل حقلاً جماليا، إذْ توالت ألفاظ: "الفجر، الضياء، الأحلام، الأشواق، النبع، الشوق، الرؤى"، لتحقِّق معادلة العقيق/ الجمال، وقد ضبط الشاعر تواليها من خلال اتكائه على الدلالة الحركية للأفعال: "يملأ، يعانق، تطلَّعت، تحتضن، تهيم"، وقد أتت هذه الأفعال متسلسلة مترابطة، مما يعكس النضارة والجمال الذي يتَّسم به العقيق، جامعاً بين المعنويات والحسيات[123] ، فالشاعر يجد "في أحضان الطبيعة صورَ أحلامه، ورسومَ خيالاته، وأطيافَ مشاعره وأحاسيسه، وكانت الآفاق الواسعة، والأزهار الباسمة والأشجار الراقصة، والأطيار الشادية، والروابي الثملة، هي عزاؤه وسلواه، حين تعصف بقلبه أعاصير الشقاء، وتثور في روحه زوابع الألم ... كان كالبلبل الحائر ينتقل من فنٍ إلى فنن، ومن زهرةٍ إلى زهره، ثم يعود مع الليل إلى عشِّه المتواضع ليسبح على جناح الأحلام، فوق الزهور والأفنان، ويطوف في حنايا الروض يبحث عن أمله المفقود، وحلمه الضائع"[124].

"وإضفاء صفة الجمال الطبيعي على المكان يوسِّع مساحة الانتماء بين الظاهرة الجمالية والشاعر، ويترك أثراً عميقاً في نفسه، يجعل التعبير عنها باللغة متوازياً مع ما يتحلَّى به الواقع من مشاهد مكانية[125]"، وفي ذلك يعجب محمد هاشم رشيد من جمال بعض الأمكنة، فيصورها بأسلوبٍ شاعريٍّ لطيف:

فَحَيْثُمَـــا سَـــارَتِ الرُّكْبَـــانُ أَوْدِيَـــةٌ خُضْـــرٌ، وَأَلْحَـــانُ أَطْيَـــارٍ تُنَاغِيْنَـــا
وَوَاحَةٌ تَزْدَهِيْ الوَاحَـــاتُ فِـــيْ رَغَـــدٍ مِنْ حَوْلِهَا ، وَهْيَ تَسْـــتَهْوِي المُحِبِّيْنَـــا
جِئْنَا وَلَـــمْ يَتَخَلَّـــفْ عَـــنْ مَسِـــيْرَتِهِ سَارٍ، وَلَمْ تَنْقَطِعْ أَلْحَـــانُ شَـــادِيْنَا (126)

فالأمكنة السياحية الجميلة اتكأت على جمال (الأودية الخضر، وألحان الأطيار، والواحة الزاهية، وألحان الشادي)، وجميع ذلك جلب السائح، إذْ لم يتخلَّف فردٌ عن الركب؛ بحثاً عن الطبيعة الآسرة.

ومن أمكنة السياحة في وطننا الحبيب "القرعاء، السودة، الجرة، حظوة" يقول محمد هاشم رشيد:

أَيُّ أُسْطُورةٍ ؟ أَيَنْبَثِـــقُ العُشْـــبُ مِـــنَ الصَّخْرِ وَتَزْهُو بِشِـــعْرِهَا (القَرْعَـــاءُ)
وَيَقُولُونَ (سُـــودَةٌ) وَهْـــيَ تُجْلَـــى بِسَـــــــنَاهَا الهُمُـــــــومُ وَالأَرْزَاءُ
وَعَلَـــى (الجُـــرَّةِ) المَجَـــرَّةِ تَخْتَـــا لُ وَتَزْهُـــو نُجُومُهَـــا الزَّهْـــرَاءُ
وَبِأَفْيـــاءَ (حَظْـــوةٌ) أَقْبَـــلَ الحَـــظُّ عَلَيْنَـــا وَفَاضَـــتْ النَّعْمَـــاءُ(127)

فهذه الأمكنة السياحية في أبها مطلب للعديد من السوَّاح على مستوى الوطن والخليج العربي يقصدونها صيفاً للسياحة والنزهة.

ومن أمكنة السياحة في المملكة العربية السعودية – أيضاً- منتزه "رغدان":

رَغَـــدَانُ أَنْـــتَ الحُـــبُّ وَالرَّغَـــدُ يَـــا غَابَـــةً بِـــرُؤَى الهَـــوَى تَعِـــدُ
يَـــا أُمْنِيَـــاتِ الشَّـــوقِ فِـــيْ مُهَـــجٍ فِـــيْ ظِلِّـــكَ الفَيْنَـــانُ تَبْتَـــرِدُ(128)

فمنتزه رغدان يمثِّل غابةً سياحيةً في منطقة الباحة، يفد إليه السواح للنزهة، إذْ إنه من أجمل المناطق في المملكة العربية السعودية في فصل الصيف، حيث اعتدال الأجواء فيه، والإطلالات الرائعة من خلال جبال تهامة، والخضرة الفاتنة، والغابات الكثيفة.

وتتسع الدلالات السياحية للمكان عند محمد هاشم رشيد فيصف تونس الخضراء:

يَا تُـــونسَ الخَضْـــرَاءِ أَلْـــفُ تَحِيَّـــةٍ لَكِ فِيْ تَبَاشِيرِ الصَّـــباحِ النَّـــادِي(129)

تعدُّ تونس من الأمكنة العربية الخضراء التي يقصدها كثير من الزوار بهدف السياحة، نضراً لجمالها، وشهرتها
على المستوى العربي والعالمي بما حباها الله من رداء أخضر توشَّحت به.

خ. دلالات ثقافية:

يأتي المكان ليوحي إلى دلالات ثقافية وتعليمية، حيث يرمز إلى مكانٍ ثقافي، أو تعليمي، أو إلى مجموعة مثقفة اشتهروا في مكانٍ ما، يقول محمد هاشم رشيد في إحدى الحفلات الثقافية التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي:

إِنَّهَا (جُـدَّةُ) وَكَـمْ فِـيْ حِمَاهَـا ... مِـنْ أَدِيـبٍ، وَشَـاعِرٍ فَنَّـانِ
كَرَّمَتْـهُ .. فَكَرَّمَـتْ فِيـهِ جِـيلاً ... ضَـاعَ فِـيْ غَيرِهَـا مِـنَ البُلْـدَانِ
وَلَقَدْ يَحْجُـبُ الضَّـبابُ الرَّواسِـي ... وَتَغِيـبُ الشُّـموسُ خَلْـفَ الـدُّخَانِ
يَـا حُمَـاةَ البَيَـانِ، عُـذْرَاً فَـإِنِّي ... جِئْتُ أَشْـدُو فِـيْ فَرْحَـةِ المَهْرَجَـانِ
فَتَأَبَّـتْ عَلَـيَّ غـرَّ القَـوَافِي ... وَجَفَتْنِـي، رَوَائِـعُ الأَلْحَـانِ
فَاقْبَلُوا صَـادِقَ التَّحِيـةِ وَالشُّكْـ ... ـرِ وَأَحْلَى المُنَى وَأَزْكَى التَّهَـانِي[130]

فـ"جدة" ملتقى الأدباء والمثقفين من خلال عدة أمكنة تقام فيها المهرجانات الثقافية والأدبية، وفي طليعتها النادي الأدبي الثقافي، وهو من أنشط الأندية الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية، يلتقي فيه حماة الضاد، وشعراء البيان في مناسبات عدة.

كما أنَّ الرياض مكان ثقافي، وعاصمة من عواصم الثقافة في الوطن العربي:

تَهَلَّلَتْ وَازْدَهَتْ فِيْ مَوْكِبِ الشّـهُبِ ... وَغَـرَّدَتْ لِلْعُلَـا وَالمَجْـدِ وَالأَدَبِ
وَلِلرِّيَاضِ .. رِيـاضُ العـزِّ عَاصِـمةٌ ... تَزْهُو الثَّقَافَةُ فِيْ أَفْيَائِهَـا القُشُـبِ[131]

وقد اختيرت الرياض عاصمة للثقافة العربية عام 2000م، وكان حدثاً عظيماً يدلُّ على الحراك الثقافي، وما أنتجه محبو الثقافة من أدباء ونقاد وغيرهم.

ومن دلالات المكان الثقافية اجتماع الشعراء والأدباء في مناسبة ثقافية أو أدبية ونحو ذلك:

فِيْ رُبُــوعِ القَصِــيمِ طَــابَ اللِّقَــاءُ وَانْتَشَــى الفِكْــرُ وازْدَهَــى الأُدَبَــاءُ
وَطَوَتْنَــا الــرُّؤَى بِــأُفْقٍ طَلِيــقٍ شَعَّ فِيــهِ السَّــنَى وَرَفَّ الصَّــفَاءُ[132]

فهذا المكان اجتمع فيه رجال الفكر والأدب في إحدى المناسبات، وكان الشعار آنذاك قصائد تُلْقَى، وفيه حراك ثقافي يشهده حشدٌ من محبي الأدب والشعر، وقد اتكأ الشاعر في مكانه على دالة الفرح والسعادة، لتتصل مع الثقافة من خلال المدلولات: (ربوع، طاب، انتشى، ازدهى، طليق، شعَّ، السنى، رفَّ، الصفاء).

وكذلك ما يشهده نادي تبوك الأدبي، فهو مكان يلتقي فيه المثقفون، ومحبو الأدب:

وَمُلْتَقَى الفِكْرِ فِيْ نَادِي تَبُــوكَ عَلَــى ذُرَى مَنَــابِرِهِ، رَفَّــتْ أَغَانِينَــا[133]

وقد شكلت الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية مكاناً مهماً للحراك الثقافي بوجهٍ عام، والأدبي بوجه خاص، تُقَام في رحابه العديد من الأمسيات الشعرية، والندوات الأدبية والثقافية.

وفي نادٍ آخر من الأندية الثقافية يدرك ولاة أمر البلاد أهميتها ودورها الثقافي، فيرعون المناسبات الثقافية من خلال مجيئهم إلى مكان الحدث نفسه:

يَــا أَمِيْــرَاً رَعَــى البَيَــانَ فَأَمْسَــى فِــيْ يَدَيــهِ إِضْــمَامَةٌ مِــنْ وُرُودِ
بِاسْمِ (نَادِي المَدِينَــةِ الأَدَبِــي) الــ ــيومَ يَنْهَــلُ بِالوَفَــاءِ قَصِــيدِي[134]

يتكئ الشاعر على أسلوب النداء ليعطي الحدث أهميته، وفي عظم الحدث والمناسبة عظم للمكان الذي أقيمت فيه، وهو ما جعل النداء ينطلق على لسانه وباسمه (نادي المدينة الأدبي).

وفي الدلالة نفسها تأتي (الجوف) لتفصح عن مكانتها الثقافية والأدبية:

فَــإِذَا (الجَــوفُ) مُفْعَــمٌ بِكُنُــوزٍ تَتَحَــدَّى قَــرَائِحَ الشُّــعَرَاءِ
فَبِــدَارِ الجَــوفِ العُلُــومُ تَسَــامَتْ وَاسْــتَعَزَّتْ بِــأَكْرَمِ العُلَمَــاءِ
فَهْــيَ لِلعِلْــمِ وَالثَّقَافَــةِ صَــرْحٌ وَمَنَــارٌ يَشــعُّ فِــيْ الأَجْــوَاءِ

كُـــلُّ سِـــفْرٍ فِيْهَـــا وَثِيقَـــةُ حُـــبٍّ لِـــأَبِي فَيْصَـــلٍ، وَرَمْـــزُ وَفَـــاءِ
وَقَصِـــيدٌ مِـــنْ شِـــعْرِهِ، يَتَغَنَّـــى بِهَوَى (الجَوفِ) خَافقَ الأَصْـــداءِ[135]

فهذه الأمكنة تشهد مناسبات ثقافية، وتجمعات أدبية، تشعرك بأهمية الثقافة في حياة الأمم، فهي رصيدٌ معنويٌّ، يزيد من مكانة المتلقي، وجمهور الأدب والثقافة والعلم، ويُعْلِي من شأنهم.

د. دلالات قومية سياسية :

يأتي المكان عند محمد هاشم رشيد لدلالاتٍ قومية وسياسية تتعلَّق بما يحيط في المنطقة العربية من أحداث، ومن دلالات المكان القومية عنده ما أصاب أغادير من زلزال مؤلم، تهدَّمت على إثره البيوت، وتشرَّد المواطنون، وخلف المآسي والآلام:

كَانَتْ أَغَادِيرُ فِيْ أَعْمَـــاقِ نَشْـــوَتِهَا وَفِيْ ثَـــوانٍ تَهَـــاوَى كُـــلُّ مَـــا فِيْهَـــا
دَكَّتْ وَأَصْـــبَحَ أَنْقَاضَـــاً مُحَطَّمَـــةً مَا كَانَ مِنْ قَبلُ يَزْهُـــو فِـــيْ مَغَانِيهَـــا
أَضْحَتْ رُكَامَاً مِنَ الأَشْلَاءِ مُحْتَرِقَـــاً يَعِيثُ فِيهَا البَلَى رَدْمَـــاً وَتَشْـــوِيهَا[136]

فهذا المكان الذي كان يوماً جميلاً هادئاً أصابه الزلزال فخلَّف آلاماً شارك فيها الشاعر بأحاسيسه ومشاعره، فالإنسان العربي يشعر بأنَّ كل شبرٍ عربي هو جزءٌ منه، ينتمي إليه، ويشعر بالولاء له، وقد اتكأ على الصورة الضدِّية في تصوير المكان، حيث تمثَّلت الأولى في صورة أغادير المنتشية بجمالها، والأخرى المغايرة لها، وهي صورة الدمار الذي أصاب المدينة بعد الزلزال.

ذ. دلالات معنوية:

يأتي المكان للدلالة المعنوية على أمرٍ تظهر من خلاله منزلة المحبوب أو الصديق أو الممدوح، فتجد الشاعر يعتني بمحبوبه، فيجعله ساكناً في فؤاده، وبين أضلعه:

هُنَا فِـــيْ فُـــؤَادِي وَبَـــينَ الضُّـــلوعِ أَرَاكِ وَإِنْ غِبـــــتِ عَـــــنْ نَـــاظِرِي
وَأَلْمَـــحُ نُـــورِكِ فِـــيْ مُهْجَتِـــي وَأَسْمعُ نَجْـــوَاكِ فِـــيْ خَـــاطِرِي[137]

يلجأ الشاعر إلى الاستعارة، للوصول إلى دلالة معنوية تتَّضح من خلالها منزلة محبوبته، ومكانتها التي تتمتَّع بها، متخذاً الدلالة المعنوية شعاراً يتوشح به من خلال وضعها في الأمكنة الغالية في جسده، حفاظاً عليها، وتقديراً لمنزلتها.

خاتمة البحث:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن دلالة المكان في الشعر السعودي من خلال دراسة تطبيقية في شعر محمد هاشم رشيد، حيث تحدثتُ عن مفهوم المكان، وأهميته، وأنواعه، ودلالاته، وقد توصَّل الباحث إلى النتائج التالية:

- يعدُّ محمد هاشم رشيد أحد الشعراء السعوديين المكثرين في ذكر المكان، والمعتنين به في شعرهم.
- تنوَّعت الأمكنة في شعر محمد هاشم رشيد، فهناك الأمكنة المفتوحة، وهي: أماكن الطبيعة، والبحر، والمدينة والقرية، والحي، والوطن، والمكان العربي والإسلامي، كما جاءت بعض الأمكنة المغلقة، وهي: المسجد، والبيت/ الكوخ، والمدارس والمعاهد والجامعات.
- تنوَّعت دلالات المكان في شعر محمد هاشم رشيد، فهناك الدلالات النفسية المفرحة الجميلة، وكذلك الحزينة السيئة، وهناك الدلالات الاجتماعية، والوطنية، والقومية السياسية، والدينية، والتاريخية، والسياحية، وكذلك الثقافية، والمعنوية.

كما توصي الدراسة بما يلي:

دراسة ظاهرة المكان في الشعر السعودي دراسة موسعة معمقة، أو في أيِّ قطر من الأقطار العربية، والوقوف عند دلالاتها وأبعادها.

وختاماً:

فإنني أحمد الله ــ صاحب الطول والفضل ــ أنْ أنعم ويسَّر على إتمام هذا البحث، والكشف عن ظاهرة من الظواهر الشعرية في شعر محمد هاشم رشيد لعلها أنْ تكون إضافة إلى المكتبة العربية الأدبية، وأنْ تكون سبباً لمزيد من البحث والدراسة حول هذه الظاهرة في الأدب العربي قديمه أو حديثه.

الهوامش

(1)[1] انظر: الأعمال الشعرية الكاملة، محمد هاشم رشيد، (كلمة بعنوان: ملامح وسمات): محمد صالح البليهشي، نادي المدينة المنورة الأدبي، رقم الكتاب (63)، الطبعة الثانية، 1411ه، 1990م، ص: 489- 494.

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414ه، 1994م، مادة مكن، 412/13.

(3) انظر: دراسات ومذاهب، د. محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988م، ص: 276.

(4) انظر: جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، عبدالحميد المحادين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص: 20.

(5) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، د. علي عبدالمعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983م، ص: 116.

(6) عبقرية الصورة والمكان، طاهر عبد مسلم، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م، ص: 16.

(7) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الثالثة، 1407ه- 1987م، ص: 31.

(8) انظر: السابق، ص: 6.

(9) انظر: جماليات المكان: المقهى عند نجيب محفوظ نموذجاً، د. حسن يوسف، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1434ه، 2013م، ص: 14.

(10) انظر: المكان ظاهرة في ديوان "أغنيات للوطن" للشاعر قاسم أبو عين، د. حسن محمد الربابعة، المركز القومي للنشر، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 11- 13.

(11) الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني "سورة يوسف أنموذجاً"، آمنة عشاب، مذكرة لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العام الجامعي: 2006م- 2007م، ص: 10.

(12) انظر: إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، 1986م، ص: 18.

(13) انظر: المكان في الرواية البحرينية، فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 61- 62.

(14) شاعرية المكان، د. جريدي سليم المنصوري الثبيتي، شركة دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412ه- 1992م، ص: 10.

(15) إشكالية المكان في النص الأدبي، ص: 5.

(16) جماليات المكان، ص: 5- 6.

(17) انظر: صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، بدر نايف الرشيدي، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب والعلوم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2011- 2012م، ص: 43.

(18) انظر: إشكالية المكان في النص الأدبي، ص: 8.

(19) انظر: قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل (تحليل سيمائياتي لقصيدة قمر شيراز للبياتي)، د.عبدالملك مرتاض، كتاب الرياض، عدد 46، أكتوبر، عدد 47 نوفمبر، 1997م، ص: 314.

(20) انظر: جماليات المكان، ص: 6.

(21) انظر: كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1388ه، 1969م، 4/ 380.

(22) انظر: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، د. محمد عويد الطربولي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1433ه، 2012م، ص: 7.

(23) جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، محمد الصالح خرفي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العام الجامعي 2005- 2006م، ص: 39.

(24) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 261.

(25) السابق، كلمة بعنوان: "أما بعد"، ص: 477.

(26) السابق، ص: 478.

(27) انظر: دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ – دراسة تطبيقية-، دحماني سعاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب العربي قديماً وحديثاً، السنة الجامعية 2007م- 2008م، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص: 88.

(28) انظر: جماليات المكان: المقهى عند نجيب محفوظ نموذجاً، ص: 22.

(29) انظر: الرواية العربية والصحراء، صلاح صالح، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1996م، ص15.

(30) انظر: جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 77.

(31) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 34.

(32) السابق، ص: 159.

(33) نفحات الرياض، محمد هاشم رشيد، مطبعة النرجس، الطبعة الأولى، 1421ه، 2001م، ص: 120- 121.

(34) جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 201.

(35) شاعرية المكان، ص: 38.

(36) انظر: المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية، راوية عبدالهادي الجحدلي، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى، 1431ه، 2010م، ص: 174.

(37) انظر: المكان في الرواية البحرينية، ص: 145- 152.

(38) نفحات الرياض، ص: 32- 33.

(39) انظر: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، أسماء شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص: 77.

(40) المدينة: دراسة في الإنثروبولوجيا الحضرية، محمد أحمد غنيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م، ص: 152.

(41) المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، حسين عبدالحميد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982م، ص: 45.

(42) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 186.

(43) السابق، ص: 196.

(44) السابق، ص: 315.

(45) محمد هاشم رشيد: شاعر المدينة المنورة: حياته وشعره، وسام محمد عبدالباقي، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، الطبعة الأولى، 1420ه، 1999م، ص: 82.

(46) انظر: المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية، ص: 181.

(47) جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، ص: 51- 52.

(48) نفحات الرياض، ص: 65.

(49) السابق، ص: 354.

(50) السابق، ص: 344.

(51) انظر: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 138- 139.

(52) نفحات الرياض، ص: 16.

(53) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 181.

(54) السابق، ص: 184.

(55) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 224.

(56) محمد هاشم رشيد شاعر المدينة المنورة: حياته وشعره، ص: 82.

(57) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 158.

(58) نفحات الرياض، ص: 199.

(59) جماليات المكان في الرواية السعودية، د. حمد بن سعود البليهد، دار الكفاح للنشر والتوزيع، 1428ه، ص: 104.

(60) انظر: المكان في القصة القصيرة في الإمارات، بدر عبدالملك، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1997م، ص: 333، وكذلك: ص: 364.

(61) جماليات المكان، باشلار، ص: 9.

(62) انظر: السابق، ص: 36- 38.

(63) المكان في شعر ابن زيدون، ساهرة عليوي حسين العامري، رسالة مكملة لمتطلبات شهادة الماجستير في آداب اللغة العربية، جامعة بابل، إشراف أ.د. هناء جواد عبدالسادة، العام الجامعي 1429ه- 2008م، ص: 27.

(64) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 103.

(65) تشكيل المكان وظلال العتبات، معجب العدواني، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، رمضان 1423ه، 2002م، ص: 50.

(66) نفحات الرياض، ص: 20.

(67) جماليات المكان في الرواية العربية، ص: 16.

(68) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 41.

(69) السابق، ص: 315.

(70) محمد هاشم رشيد شاعر المدينة المنورة: حياته وشعره، ص: 83.

(71) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 377.

(72) السابق، ص: 432.

(73) محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته، د. رزق محمد سيد أحمد داود، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، الطبعة الأولى، 1414ه- 1994م،ص: 69.

(74) بقايا عبير ورماد، محمد هاشم رشيد، من إصدارات نادي جدة الأدبي، مطابع دار البلاد، جدة، الطبعة الأولى، 1404ه، 1984م، ص: 45.

(75) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 32.

(76) السابق، ص: 249.

(77) بقايا عبير ورماد، ص: 13.

(78) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 158.

(79) انظر: صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة، زايد محمد الخوالدة، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 1433ه، 2012م، ص: 23.

(80) بقايا عبير ورماد، ص: 97.

(81) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 73- 74.

(82) نفحات الرياض، ص: 246- 247.

(83) انظر: محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته، ص: 45.

(84) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 108، والقصيدة من الشعر المرسل.

(85) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 104- 105.

(86) شعرية المكان في الرواية الجديدة – الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد 83، أكتوبر 2000م، ص: 107.

(87) نفحات الرياض، ص: 91- 92.

(88) السابق، ص: 180.

(89) نفحات الرياض، ص: 218.

(90) ديوان بقايا عبير ورماد، ص: 16.

(91) نفحات الرياض، ص: 48- 49.

(92) انظر: النحو والأساليب الفنية، أ.د عز الدين الذهبي، (سلسلة أعمال الدورات التكوينية- الدورة التكوينية الأولى في موضوع: قراءة النص في ضوء النظريات الأسلوبية المعاصرة)، جامعة القرويين، كلية اللغة العربية، مراكش، العدد الأول، 1436ه، 2015م، ص: 167.

(93) نفحات الرياض، ص: 224.

(94) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 317.

(95) الوهم ومحاور الرؤيا .. دراسات في أدبنا الحديث، د. منصور إبراهيم الحازمي، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1421ه، 2000م، ص: 127.

(96) ديوان بقايا عبير ورماد، ص: 10.

(97) انظر: شعرية المكان المقدس (دراسات في الشعر السعودي)، د. حافظ المغربي، النادي الأدبي بالرياض، وزارة الثقافة والإعلام، المملكة العربية السعودية، 1427ه، ص: 7.

(98) نفحات الرياض، ص: 42.

(99) الكتاب (كتاب سيبويه)، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408ه، 1988م، ج 1، ص: 34.

(100) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 149.

(101) جماليات المكان في الشعر العباسي، د. حمادة تركي زعيتر، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1434ه- 2013م، ص: 110.

(102) بقايا عبير وورد، ص: 18.

(103) سورة آل عمران، آية 96.

(104) سنن ابن ماجه، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة الشيخ خليل مأمون شيحا، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 1406/ 4، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1420ه، 2000م، 2/ 172.

(105) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 169، والقصيدة من الشعر المرسل.

(106) التجربة الإبداعية عند محمد هاشم رشيد، د. محمد الصادق عفيفي، مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة الباحة، الطبعة الأولى، 1417ه، 1996م، ص: 102.

(107) صحيح البخاري، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، (كتاب الحج)، 144/2.

(108) الوادي المبارك : مرائي الشعر .. وجماليات المكان، محمد إبراهيم الدبيسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، من مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1432ه، 2011م، ص: 20.

(109) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 162.

(110) السابق، ص: 270.

(111) انظر: الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. أحمد بسام ساعي، دار المنارة للنشر، السعودية، جدة، الطبعة الأولى، 1405ه، 1985م، ص: 125.

(112) جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 150.

(113) انظر: السابق، ص: 152.

(114) الوادي المبارك مرائي الشعر .. وجماليات المكان، ص: 302.

(115) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 465- 466.

(116) ديوان بقايا عبير ورماد، ص: 89- 90.

(117) نفحات الرياض، ص: 363.

(118) السابق، ص: 63.

(119) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 359.

(120) السابق، ص: 360.

(121) انظر: محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته، ص: 77-78، والتجربة الإبداعية عند محمد هاشم رشيد، ص: 94- 95.

(122) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 377.

(123) انظر: الوادي المبارك، ص: 305- 306.

(124) الأعمال الشعرية الكاملة، مقدمة ديوان الشاعر (وراء السراب)، بقلم الشاعر نفسه، ص: 10- 11.

(125) جماليات المكان في الشعر العباسي، ص: 58.

(126) نفحات الرياض، ص: 260.

(127) السابق، ص: 156.

(128) السابق، ص: 346.

(129) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 173.

(130) نفحات الرياض، ص: 317- 318.

(131) السابق، ص: 362.

(132) السابق، ص: 159.

(133) السابق، ص: 261.

(134) نفحات الرياض، ص: 186.

(135) السابق، ص: 285- 286.

(136) ديوان بقايا عبير ورماد، ص: 83.

(137) الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 48.

ثبت مصادر البحث ومراجعه:

1. القرآن الكريم .

الكتب المطبوعة:

2. إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، الطبعة الأولى، 1986م.
3. الأعمال الشعرية الكاملة، محمد هاشم رشيد، نادي المدينة المنورة الأدبي، رقم الكتاب (63)، الطبعة الثانية، 1411ه، 1990م.
4. بقايا عبير ورماد، محمد هاشم رشيد، من إصدارات نادي جدة الأدبي، مطابع دار البلاد، جدة، الطبعة الأولى، 1404ه، 1984م.
5. التجربة الإبداعية عند محمد هاشم رشيد، د. محمد الصادق عفيفي، مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة الباحة، الطبعة الأولى، 1417ه، 1996م.
6. تشكيل المكان وظلال العتبات، معجب العدواني، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، رمضان 1423ه، 2002م.
7. جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، عبدالحميد المحادين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
8. جماليات المكان في الرواية السعودية، د. حمد بن سعود البليهد، دار الكفاح للنشر والتوزيع، 1428ه.
9. جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.
10. جماليات المكان في الشعر العباسي، د. حمادة تركي زعيتر، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1434ه- 2013م.
11. جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، أسماء شاهين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
12. جماليات المكان: المقهى عند نجيب محفوظ نموذجاً، د. حسن يوسف، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1434ه، 2013م.
13. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الثالثة، 1407ه- 1987م.
14. دراسات ومذاهب، د. محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988م.
15. الرواية العربية والصحراء، صلاح صالح، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1996م.
16. سنن ابن ماجه، بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1420ه، 2000م.
17. شاعرية المكان، د. جريدي سليم المنصوري الثبيتي، شركة دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412ه- 1992م.

18. شعرية المكان المقدس (دراسات في الشعر السعودي)، د. حافظ المغربي، النادي الأدبي بالرياض، وزارة الثقافة والإعلام، المملكة العربية السعودية، 1427ه.
19. شعرية المكان في الرواية الجديدة – الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد 83، أكتوبر 2000م.
20. صحيح البخاري، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
21. صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة، زايد محمد الخوالدة، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 1433ه، 2012م.
22. قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل (تحليل سيمائياتي لقصيدة قمر شيراز للبياتي)، د. عبدالملك مرتاض، كتاب الرياض، عدد 46، أكتوبر، عدد 47 نوفمبر، 1997م.
23. قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، د. علي عبدالمعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983م.
24. الكتاب (كتاب سيبويه)، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408ه، 1988م.
25. كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1388ه، 1969م.
26. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414ه، 1994م.
27. محمد هاشم رشيد شعره وشاعريته، د. رزق محمد سيد أحمد داود، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، الطبعة الأولى، 1414ه- 1994م.
28. محمد هاشم رشيد: شاعر المدينة المنورة: حياته وشعره، وسام محمد عبدالباقي، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، الطبعة الأولى، 1420ه، 1999م.
29. المدينة: دراسة في الإنثروبولوجيا الحضرية، محمد أحمد غنيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987م.
30. المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، حسين عبدالحميد رشوان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982م.
31. المكان ظاهرة في ديوان "أغنيات للوطن" للشاعر قاسم أبو عين، د. حسن محمد الربابعة، المركز القومي للنشر، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 1999م.
32. المكان في الرواية البحرينية، فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، 2003م.
33. المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، د. محمد عويد الطربولي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1433ه، 2012م.
34. المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية، راوية عبدالهادي الجحدلي، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى، 1431ه، 2010م.
35. المكان في القصة القصيرة في الإمارات، بدر عبدالملك، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1997م.

36. نفحات الرياض، محمد هاشم رشيد، مطبعة النرجس، الطبعة الأولى، 1421ه، 2001م.
37. الوادي المبارك مرائي الشعر .. وجماليات المكان، محمد إبراهيم الدبيسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الأولى 1432ه، 2011م.
38. الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، د. أحمد بسام ساعي، دار المنارة للنشر، السعودية، جدة، الطبعة الأولى، 1405ه، 1985م.
39. الوهم ومحاور الرؤيا .. دراسات في أدبنا الحديث، د. منصور إبراهيم الحازمي، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1421ه، 2000م.

الرسائل الجامعية:

40. جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، محمد الصالح خرفي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العام الجامعي 2005- 2006م.
41. الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني "سورة يوسف أنموذجاً"، آمنة عشاب، مذكرة لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العام الجامعي: 2006- 2007م.
42. دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ – دراسة تطبيقية-، دهماني سعاد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب العربي قديماً وحديثاً، السنة الجامعية 2007- 2008م، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
43. صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، بدر نايف الرشيدي، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب والعلوم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2011- 2012م.
44. المكان في شعر ابن زيدون، ساهرة عليوي حسين العامري، رسالة مكملة لمتطلبات شهادة الماجستير في آداب اللغة العربية، جامعة بابل، إشراف أ.د. هناء جواد عبدالسادة، العام الجامعي 1429ه- 2008م.

الدوريات والمجلات:

45. الدورة التكوينية الأولى في موضوع: قراءة النص في ضوء النظريات الأسلوبية المعاصرة، جامعة القرويين، كلية اللغة العربية، مراكش، العدد الأول، 1436ه، 2015م.